

## الفصل الخامس الرسالات السماوية الكبرى

### رسالة سيدنا موسى

سيدنا موسى Moïse ﷺ: يرى المؤرخ الفرنسي جى راشيه Guy Racht أن أكبر أسباب كراهية اليهود لمصر والمصريين هو أن جميع الأدلة العقلية والنقلية تؤكد أن نبيهم الأكبر موسى ﷺ ليس من بنى إسرائيل؛ فهو مصرى الأصل، والاسم، والمولد، والنشأة، والعقيدة، واللغة، والتفكير<sup>(١)</sup>؛ ففى البشائر: " ٢٢ فَتَشَقَّفَ مُوسَى بِعُلُومِ مِصْرَ كُلِّهَا، حَتَّى صَارَ مُقْتَدِرًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. " وهذه العبارة ذاتها فى الترجمة الكاثوليكية " لَقَنَّ مُوسَى حِكْمَةَ الْمِصْرِيِّينَ كُلِّهَا "<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد فى التقليد أن ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفقهونه علوم المصريين<sup>(٣)</sup>.

فموسى تربى فى قصر فرعون كطفل مصرى، ولا يمكن أن يتصور إنسان أن يقبل فرعون - أو أى فرد من أفراد أسرته - أن يعيش فى قصره طفل من بنى إسرائيل، وسوف أقدم الأدلة العلمية التى تثبت ذلك، ثم أبين صحة تلك الأدلة مما قصه القرآن الكريم، ومما جاء فى أقوال المؤرخين فى كتب التاريخ، وفى الأسفار اليهودية.

(١) Guy Racht ; op cit , p ٧١

(٢) أعمال الرسل ٧: ٢٢.

(٣) العرب واليهود فى التاريخ ٥٨٦.

✽ يقول المؤرخ اليهودى يوسيفوس Joseph Flavius<sup>(١)</sup>: إن موسى كان حاكماً أو كاهناً مصرياً، وكان من كبار قادة الجيش، وفي حملته على الحبشة حقق انتصاراً عظيماً، وتزوج من بنت ملك الحبشة "ترييس" وأن فرعون مصر ترموثيس Thermuthis هو الذى اختار لموسى هذا الاسم، وهو مركب من كلمتين: "مو" ومعناها: "ماء"، و"أوس" ومعناها: "إنقاذ"، في إشارة إلى انتشاله من الماء.

وتروى الأسفار اليهودية قصة ولادة سيدنا موسى ﷺ وطفولته في العبارة الآتية:

" وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَأَوِي فَتَاءَ ابْنَةَ لَأَوِي. ٢ فَحَمَلَتِ الْمُرَأَةَ وَأَنْجَبَتْ ابْنًا، وَإِذْ رَاقَهَا جَمَالُهُ خَبَأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. ٣ وَلَمَّا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُخْفِيَهُ بَعْدُ، أَتَتْ بِسَفْطٍ مِنَ الْبَرْدَى وَطَلَّتْهُ بِالْحَمْرِ وَالزَّرْفِ وَأَضْجَعَتِ الطِّفْلَ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ عَلَى صَفَةِ النَّهْرِ. ٤ وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَرَى مَا يَحْدُثُ لَهُ.

٥ وَأَقْبَلَتِ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ لِتَسْتَحِمَّ فِي النَّهْرِ، بَيْنَمَا رَاحَتْ وَصِيفَاتُهَا تَتَمَشَّيْنَ عَلَى صَفَةِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ السَّفْطَ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ فَأَرْسَلَتْ وَصِيفَتَهَا لِتَأْتِي بِهِ. ٦ فَفَتَحَتْهُ وَرَأَتْ الطِّفْلَ وَإِذَا هُوَ يَبْكِي، فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هَذَا مِنْ أَوْلَادِ الْعِبْرَانِيِّينَ» ٧ فَقَالَتْ أُخْتُهُ لِابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكَ مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتَرْضِعَ لَكَ الْوَلَدَ؟» ٨ فَأَجَابَتْهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي!»؛ فَمَضَتْ الْفَتَاءُ وَدَعَتْ أُمَّ الصَّبِيِّ. ٩ فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «خُذِي هَذَا الصَّبِيَّ وَأَرْضِعِيهِ لِي، وَأَنَا أُعْطِيكَ أُجْرَتِكَ». فَأَخَذَتِ الْمُرَأَةَ الصَّبِيَّ وَأَرْضَعَتْهُ. ١٠ وَلَمَّا كَبُرَ الْوَلَدُ، رَدَّتْهُ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَتَبَّتْهُ وَدَعَتْهُ مُوسَى (وَمَعْنَاهُ مُتَشَلُّ) قَائِلَةً: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) يوسيفوس فلافيوس Joseph Flavius (٣٧ - ١٠٠ م) كاهن، مؤرخ، يهودى، ولد في أورشليم، واشترك في حرب اليهود ضد الرومان، وعمل مترجماً لتيوس، وصحبه إلى روما، ويعتبره اليهود خائناً، وأشهر كتبه "تاريخ اليهود القديم" وقد ألفه أولاً باللغة السريانية الآرامية، ثم ترجمه إلى اليونانية، ومنها إلى اللاتينية والفرنسية، وله ترجمة عربية طبعت ثلاث مرات في بيروت، في سنوات ١٨٦٦، ١٨٧٢، ١٩٠٩، ولا يعرف اسم معرّب هذا الكتاب.

انظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢ / ١٩٥٦.

(٢) خروج ٢: ١٠ - ١٠.

وقبل أن أذكر شروح صهاينة المسيحيين هذه الفقرة وتعليقنا عليها أحبُّ أن أُنَبِّه إلى الملاحظات الآتية:

الملاحظة الأولى: سكتت جميع الأخبار التي بين أيدينا عن والد سيِّدنا موسى ﷺ؛ فلم تفصح عن وجوده أو موته عند ولادة سيِّدنا موسى ﷺ، والأخبار التي بين أيدينا تشير إلى أن أخاه هارون ﷺ كان أكبر منه سنًا - ربَّما كان يكبره بثلاثة أعوام فقط - وأنَّ أختها مريم كانت أكبر منهما معًا، فهي التي خرجت لتقصَّ أخبار أخيها، وتعرَّف على أحواله، وتراقب ما يحدث له، وهذا دليل على أن هارون كان ما يزال حدثًا غير مدرك، ولا يستطيع أن ينهض بمثل هذه المهمة، وعلى هذا فموسى أصغر إخوته، والراجح عندي أن أباه كان قد مات قبيل مولده أو فارق الحياة وهو بعد ما يزال طفلًا رضيعًا؛ وينبني على هذا الرجحان أمران هامان:

الأمر الأوَّل: أن في هذا تأكيدًا لسنة الله تعالى في أصحاب الرسالات الثلاث الكبرى في تاريخ البشرية؛ فرسول الله محمد بن عبد الله ﷺ مات أبوه وهو في بطن أمِّه، وسيِّدنا عيسى ﷺ لا أب له، فهو كلمة الله ألقاها إلى العذراء الصديقة مريم، وسيِّدنا موسى ﷺ من المؤكَّد أنه لم ير أباه ولم يعرفه: إمَّا لأنَّه مات قبيل مولده كما افترضنا، وإمَّا لأنَّه تربى في بيت فرعون بعيدًا عنه؛ وكأنَّما أراد الله ﷻ أن يُعَدَّ هؤلاء الرسل إعدادًا خاصًا بهم يناسب ثقل المهام التي ستلقى عليهم في مستقبل أيَّامهم وحتى لا يكون لأحد من الناس فضل عليهم ولو كان أقربهم منهم رحمًا، وأكثرهم عليهم عطفًا ورحمة، وكأنَّما أراد الله ﷻ أن يُضنَّع هؤلاء الرسل على عينه وحده، وأن يُحاطوا برعايته وحده، وأن يُنشئوا تنشئة استقلالية عصامية فريدة؛ لتكون لهم القدرة على اتخاذ القرار الحاسم في المواقف الصعبة، وأن يقوى عودهم على الصلابة في الحق والانحياز للفضيلة والخير، ويا له من درس عظيم للمؤمنين بقدرة الله تعالى، ولمن يعي الحكمة منه.

والأمر الآخر: يفسر لنا سلوك الأم في محاولة التخلص من ولدها بعد ولادته؛ فهي امرأة كثيرة الأبناء، قليلة المال، ولا عائل لها يعولها هي وأبناءها؛ فأرادت

بوضعه في الماء أن يجده واحد من القادرين ممن يستطيع أن يوفر له أسباب العيش التي عجزت هي عنها، وأمّا القول بأنّها خافت عليه الموت؛ لأنّ الفرعون أمر بقتل الذكور من الإسرائيليين واستحياء النساء منهم فأراه قولاً غير صحيح، وأنّه أثر من آثار الإسرائيليات في التفسير الإسلامي، وفيما ترويه كتب التاريخ الإسلامي من قصص متعدّدة أغراضها عن أسباب قتل الذكور واستحياء النساء، وهذه القصص تتناقضها تدلّ على زيفها وباطلها، فمن ذلك:

❖ أن المنجمين أخبروا فرعون أنهم يجيّدون في علمهم أن مولوداً من بنى إسرائيل قد أظلم زمانه الذي يولد فيه يسلبه ملكه، ويغلبه على سلطانه، ويخرجه من أرضه، ويبدّل دينه؛ فأمر بتقتيل أبنائهم.

❖ أن فرعون رأى رؤيا في منامه كأنّ نارا أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر، وأخربتها، وأحرقت القبط<sup>(١)</sup>، وتركت بنى إسرائيل!!! فدعا فرعون السحرة والكهنة والقافة والحازة - أى: المنجمين - فعبروا له الرؤيا بما كان سبباً في أمره بالتخلّص من ذكور الإسرائيليين.

❖ وأكذب الأسباب ما قيل: إن فرعون وجلساءه كانوا يتذكرون معاً ما وعد الله ﷻ به سيّدنا إبراهيم الخليل ﷺ أن يجعل في ذريته أنبياء ملوكاً، فقال بعضهم: إنّ بنى إسرائيل لينتظرون ذلك. فقال فرعون: كيف ترون؟ فأجمعوا على أن يبعث رجالاً يقتلون كلّ مولود في بنى إسرائيل.

❖ وتروى الأسفار اليهوديّة سبباً مخالفاً لكل تلك الأسباب وهو خوف الملك منهم لكثرتهم المزعومة " ٩ فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هَا بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ مِنَّا وَأَعْظَمُ قُوَّةً. ١٠ فَلْتَتَمَّرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْلَا يَتَكَثَّرُوا وَيَنْصُمُوا إِلَى أَعْدَائِنَا إِذَا نَشَبَ قِتَالٌ وَيُجَارِبُونَا ثُمَّ يَخْرُجُوا مِنَ الْأَرْضِ». ١١ فَعَهَدُوا بِهِمْ إِلَى مُشْرِيفِينَ عُنَاةٍ لِيُسَخَّرُوهُمْ بِالْأَعْمَالِ

(١) في المركز الثقافي المصري في طرابلس الغرب ألقى د/ محمد عبد الحليم نور الدين العالم الأثرى محاضرة، بيّن فيها أنّ لفظ "قبط" مصرى قديم، ومعناه "مصر المحروسة"، ولا علاقة له بالدين المسيحي ولا بالمسيحيين ولا بطوائفهم المختلفة، ويجب تصحيح هذا الفهم الخاطى.

الشَّاقَّةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتِي فِيثُومَ وَرَعْمَسِيْسَ لِتَكُونَا مَحَازِنَ لِفِرْعَوْنَ. ١٢ وَلَكِنْ كَلَّمَا زَادُوا مِنْ إِذْلَاهُمْ، إِزْدَادَ تَكَاثُرُهُمْ وَنُمُوهُمْ، فَتَحَوُّفُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٣ فَتَفَاقَمَ عُنْفُ اسْتِعْبَادِ الْمِصْرِيِّينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٤ وَأَتَعَسُوا حَيَاتَهُمْ بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فِي الطَّيْنِ وَاللَّبْنِ كَادِحِينَ فِي الْحُقُولِ. وَسَخَّرَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ بِعُنْفٍ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمِ الشَّاقَّةِ. ١٥ ثُمَّ قَالَ مَلِكُ مِصْرَ لِلْقَابِلَتَيْنِ الْعِبْرَانِيَّتَيْنِ الْمُدْعُوَّتَيْنِ شِفْرَةَ وَفُوعَةَ:

١٦ «عِنْدَمَا تُشْرِفَانِ عَلَى تَوْلِيدِ النِّسَاءِ الْعِبْرَانِيَّاتِ رَاقِبَاهُنَّ عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلَادَةِ، فَإِنْ كَانَ الْمَوْلُودُ صَبِيًّا فَاقْتُلَاهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَاتْرُكَاهَا حَيًّا.»<sup>(١)</sup>

وأما الطرق التي اتبعتها فرعون في إهلاك الأطفال فقد رويت أيضا بروايات متعددة بشعة، فمن ذلك:

❖ أن فرعون أمر القوابل من نساء أهل مملكته بقتل غلمان الإسرائيليين.

❖ أنه أمر بتعذيب الحبالى؛ فأمر بالقصب، فِئسَقُ حَتَّى يُجْعَلَ أَمْثَالُ الشَّفَارِ، ثُمَّ يُصَفُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يُوْتَى بِالْحَبَالَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَيُوقَفْنَ عَلَيْهِ، فَيَحْزُرُ أَقْدَامَهُنَّ حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُنَّ لَتَمْضَعُ بَوْلِهَا - أَيْ: تَلْقِيهِ - فَيَقَعُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَتَظَلُّ تَطْوُهُ تَتَقَى بِهِ حَزَّ الْقَصْبِ عَنْ رِجْلَيْهَا، لِمَا بَلَغَ مِنْ جَهْدِهَا

ولما أوشك بنو إسرائيل على الفناء، دخل رءوس القبط على فرعون، وكلموه في أن يبقى على بعضهم حتى لا تتوقف أعمالهم؛ فقد كانوا يكلفون بالأعمال الدنيا في المجتمع، فأمر أن يذبحوا سنة، ويتركوا سنة، فلما كان في تلك السنة التي تركوا فيها وُلِدَ هَارُونَ، وولد موسى في السنة التي يُقْتَلُونَ فِيهَا<sup>(٢)</sup>.

أرأيت إلى هذا الخيال اليهودي في إصاق إجرامهم بالمصريين، وكأن فرعون وقومه من فرق المارينز الصهيونى الأمريكى يلتذون بلعق دماء الأبرياء، وتعذيب النساء في العراق وأفغانستان؟

(١) خروج ١: ٩-١٦، وانظر: قصة الديانات ٣٠٤.

(٢) تاريخ الطبرى ١ / ٣٨٧-٣٨٨، الكامل في التاريخ ١ / ٩٦.

كُلُّ هذه الروايات من أكاذيب اليهود، ولا أصل لها؛ لأنَّ المذكور في القرآن الكريم أنَّ الفرعون لم يصدر أوامره تلك إلاَّ بعد المواجهة السافرة بينه وبين سيِّدنا موسى ﷺ الذي سَفَّه عقيدته، وكذَّب ألوهيَّته، ودعاه إلى عبادة الله وحده، ولم يكن هذا الأمر موجَّهاً ضدَّ بنى إسرائيل وحدهم كما زعموا، وإنَّما هو انتقام الفرعون الظالم المدَّعى الألوهيَّة ممنُ خرج عن طاعته، وتمرَّد على عبادته، وأعان عليه الفاسقون من قومه الَّذِينَ استخفَّهم فأطاعوه، والقرآن الكريم صريح في بيان التوقيت الَّذي أصدر فيه الفرعون هذه الأوامر، وقرأ هذه الآيات البيِّنات، وتدبَّر معانيها لتدرك الخدعة الكبرى الَّتِي عاشها المسلمون قُرُونًا طويلةً، يردِّدون فيها أكاذيب اليهود:

❖ قال تعالى على لسان السحرة المصريين الَّذين آمنوا بالله، وأتبعوا موسى؛ فأمر فرعون بتعذيبهم، وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وتصليبهم في جذوع النخل: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِقَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذُرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكُ قَالَ سَنُنْقَلِبُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾<sup>(١)</sup>

❖ وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٢٨﴾ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبِيِّ مُوسَىٰ وَمُوسَىٰ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٩﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٠﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَهْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١٣١﴾ وَنُمَكِّنُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٣٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>

فالطائفة المستضعفة في الآيات الكريمة هم المؤمنون الموحدون الَّذين أتبعوا

(١) سورة الأعراف ٧: ١٢٥-١٢٧ وراجع سياق القصة في الآيات السابقة والتالية من السورة.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٢-٦.

موسى، وآمنوا برّب العالمين، وهم الَّذِينَ يَهْدُونَ عرش فرعون، وينذرونه بالهلاك.

❖ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَمٰنَ وَقَرُورًا فَقَالُوا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٣٣﴾﴾ (١).

هذه هي جميع الآيات الواردة في القرآن الكريم التي تتضمن التوقيت الذي أمر فيه فرعون بعقاب المؤمنين (٢)، وظاهر الآيات الكريمة تبين أن أوامر الفرعون بقتل الأبناء واستحياء النساء كان يوم الزينة - وهو يوم المواجهة بين السحرة وموسى، يوم المواجهة بين الكفر والإيمان - بعد دعوة موسى إلى دين الله، ووحدايته، وعبادته، لا قبل ذلك رجماً بالغيب، واتباعاً للهوى، والله أعلم بمراده، قال تعالى:

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣١﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٣٢﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُخَشِّرَ النَّاسَ ضَحَىٰ ﴿٣٣﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٣٤﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَيْكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَبِكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٣٥﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٣٦﴾ قَالُوا إِنْ هٰذَانِ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ﴿٣٧﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴿٣٨﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٣٩﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَاهُمْ وَعِصِيَّهُمْ تُخَلَّىٰ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَ تَسْعَىٰ ﴿٤٠﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفُ بِأَنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

(١) سورة غافر ٤٠: ٢٣-٢٥.

(٢) هناك ثلاثة مواضع أخرى في القرآن الكريم ذكرت فيها هذه الأحداث، وفيها تذكير بنى إسرائيل - بعد خروجهم من مصر - بنعمة الله عليهم إذ نجّاهم من فرعون وملته.  
راجع: سورة البقرة ٢: ٤٩، سورة الأعراف ٧: ١٤١، سورة إبراهيم ١٤: ٦.

السِّحْرَةَ سُبْحَدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٧﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ  
 إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفَ  
 وَلَا صَلْبِنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى  
 مَا جَاءَنَا مِنْ آيَاتِنَا وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ  
 الدُّنْيَا ﴿٧٩﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ  
 وَأَبْقَى ﴿٨٠﴾ (١)

ولو كان أمر فرعون بقتل الأبناء واستحياء النساء قديماً، قبل يوم الزينة، فما  
 معنى ذكره في هذه المواضع؟ ولو كان هذا الأمر قديماً فما العقاب الذي أنزله فرعون  
 بالمؤمنين بموسى؟ أم تراهم نجوا من العقاب؟

الملاحظة الثانية: زعم كاتب السفر اليهودي أن ابنة فرعون عندما بصرت  
 بالطفل قالت: « هَذَا مِنْ أَوْلَادِ الْعِبْرَانِيِّينَ » فكيف عرفت ذلك؟

وهل أولاد العبرانيين متميزون بشكل خاص يفرق بينهم وبين أولاد المصريين؟  
 أو لعل أمه كانت قد وضعت معه بطاقة تعريف فلما قرأتها ابنة فرعون تعرفت  
 عليه؟

وهل كان في استطاعة ابنة فرعون أو زوجه أو المصريين جميعاً أن يخالفوا عن أمر  
 الفرعون الإله فيستحيوا طفلاً من العبرانيين أمر الفرعون بقتله؟

أيريد هذا الحاخام المخرف الذي كتب هذا السفر أن يستخفنا فنصدقه كما  
 استخف فرعون قومه فأطاعوه؟

الملاحظة الثالثة: لا تشير العبارة اليهودية إلى سبب مقنع لتبني ابنة فرعون طفلاً،  
 سواء أكان عبرانياً أم كان مصرياً، فما حاجتها إلى ذلك، وهي ليست زوجاً لأحد،  
 وليست عاقراً، وما من سبب يضطرها إلى رعاية طفل ضال؛ والصحيح ما ذكره  
 القرآن الكريم من أن زوج فرعون المؤمنة هي التي أبقت على الطفل؛ لأنها لم تكن

(١) سورة طه ٢٠: ٥٧ - ٧٣.

تنجب؛ فاتخذته لها ولدًا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد يقول البعض: إن في هذه الآية الكريمة ما يشير إلى أمرين:

الأمر الأول: إمكان قتل الصبي، وهذا صحيح، لا لأنهم عرفوا أنه إسرائيلي كما يزعم اليهود، بل لأن النسب الملكي الفرعوني نسب إلهي عال، ولا يمكن أن يترك للاختلاط بدماء الشعب والدهماء، ولا أظن أنه كان في ذلك العصر ملاجئ أو دور للأيتام حتى يمكن إيداع الصبي فيها، وربما فكر فرعون في أن الطفل قد يكون من أبناء أعدائه، وهو أمر متوقع في كل حال؛ فلا يعرف التاريخ ملكًا بلا أعداء، سواء أكان سبب العداء الصراع على العرش أم كان اختلاف العقيدة، ونحن نعلم أن بقايا من أتباع ديانة التوحيد التي دعا إليها إخناتون كانت ما تزال تُحَارَب من السلطة الوثنية الحاكمة، وكان أتباعها يتربصون الدوائر بالوثنيين في ذلك الصراع الأبدي بين الحق والباطل.

والأمر الآخر: أن هناك من يراقبهم، فتجب مداراتهم حتى لا يشعروا ببقاء الطفل حيًا، فإذا ما ورث العرش كابن لفرعون لا يجد من يناوئه في سلطانه، وقد أشار المفسرون إلى هذه المعاني في معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فقالوا: قد تكون الجملة:

❖ ابتداء كلام من الله تعالى، أي: وهم لا يشعرون أن هلاكهم سيكون بسبب هذا الصبي؛ فهم لا يدرون ما أراده الله من التقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة.

❖ وقد تكون كما قيل: هو من كلام المرأة، أي: وبنو إسرائيل لا يدرون أننا التقطنا، ولا يشعرون إلا أنه ولدنا نحن<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة القصص ٢٨: ٩.

(٢) راجع معنى الآية الكريمة في تفسيري القرطبي وابن كثير.

ونعود الآن إلى شروح صهاينة المسيحيين للعبارة السابقة، يقول شارح الأسفار اليهودية: اسم موسى في العبرية "موشيه" من الفعل "مشا" أى: انتشل، غير أنّ ابنة الفرعون لا تتكلم العبرية، وهو في الواقع اسم مصرى يعرف بصيغته المختصره "موزس" وبصيغته الكاملة "توت موزس" وتعنى: الإله توت ولد<sup>(١)</sup>.

وقد اجتهد الدكتور أحمد بدوى في محاولة تفسير اسم "موسى"؛ فذكر أنّه ربّما كان اختصارًا لاسم مركب من مثل "آمون موسى"، أو "أحموسى"، أو "رع موسى"، أو "تحوت موسى"، أو "بتاح موسى"، واختصاره غير معروف في اللغة المصريّة إلاّ إذا أراد موسى تحرير اسمه من الوثنيّة الفرعونيّة، فجردّ اسمه من أسماء الآلهة؛ لأنّه يدعو إلى دين جديد، باسم جديد<sup>(٢)</sup>.

لاحظ أيّها القارئ الكريم أنّ في أقوال المؤرخين وشرّاح الشريعة الخطيّة التي يدعوها "الكتاب المقدّس" مغالطتين تاريخيتين كبيرتين، يجب التنبيه إليهما:

المغالطة الأولى: أنّهم يفترضون وجود اللغة العبرية في زمن موسى عليه السلام، أو قبله وهو كذب صريح، لا أصل له في الواقع أو التاريخ؛ فاللغة العبرية لهجة كنعانية آرامية بدأ ظهورها متعثرًا بعد موسى عليه السلام بعدة قرون، وكتبت بها بعض الأسفار اليهودية في زمن السبي البابلي ٥٨٦ - ٥٣٩ ق. م.، وكانت لهجة بدائية عرفت باسم "اللغة التوراتية"، ثم عرفت فيما بعد باسم "العبرية"، ولم يكن لها وجود في عهدى داود وسليمان - عليهما السلام - ولم تضبط أصولها وقواعدها إلاّ في القرن السادس بعد الميلاد<sup>(٣)</sup>، بل إنّ الذين يقرءون التاريخ بلا وعى خدعتهم أكاذيب اليهود؛ فمنهم من زعم أنّ اللغة العبرية كانت أوّل لغة ظهرت على وجه الأرض، وأنّها كانت لغة سيّدنا آدم عليه السلام<sup>(٤)</sup>، والأغرب من كلّ هذا أنّ يزعم بعضهم أنّ اللغة العبرية وجدت قبل أن يوجد بنو إسرائيل أنفسهم، فيقول "أمّا اللغة فهي اللغة

(١) خروج ٢: ١١.

(٢) في موكب الشمس ٢ / ٥٨٦ ح ١.

(٣) العرب واليهود في التاريخ ٦٣٢.

(٤) قصة الديانات ٣٠٩.

العبرية، لأنها أقدم من إسرائيل وبنيه" (١)، ولا أعرف في حكم العقل كيف تظهر لغة قبل أن يخلق الله الَّذِينَ سيتحدثون بها إلا إذا كانت على طريقة المطرب سيّد مكّاوى - رحمه الله - "الأرض بتكلم عبري".

ويقول الدكتور أحمد سوسة: "كانت اللغة الكنعانية هي اللغة السائدة في فلسطين قبل هجرة قوم موسى إليها، وفي فلسطين تعلّم قوم موسى اللغة الكنعانية، وعبدوا آلهتهم، ثمّ تكوّنت بعد ذلك اللهجة العبرية المقتبسة من الآرامية، بعد مرور أكثر من خمسمائة سنة على وجودهم في فلسطين، ويحرص المؤرخون على أن يطلقوا على الكنعانية "عبرانية التوراة Biblical Hebrew" أو العبرية القديمة، فكيف ظهرت هذه العبرية قبل ظهور موسى وقومه، وأى اللغات أسبق الكنعانية والآرامية أو العبرية؟ وفي ذلك مغالطة متعمّدة فلا يتصوّر عاقل أنّ هناك لغة تنشأ قبل ظهور المتحدثين بها" (٢).

والمغالطة الثانية: أنّ بنى إسرائيل سلالة نقيّة متميِّزة، محافظة على صفاتها وأعرافها منذ زمن إبراهيم الخليل ﷺ - قبل أن يولد إسرائيل نفسه - وهو ادّعاء كاذب، قامت كلُّ الأدلّة على بطلانه، من ذلك:

في الأسفار اليهودية أنّ سيّدنا موسى تزوج امرأتين:

الأولى "صُفُورَة" ابنة كاهن مدين - وقد تعددت أسماؤه في العهد القديم منها: رَعَوَيْيل، يثرون، يترو، حوباب (٣).

والأخرى: امرأة حبشية، لم يذكر اسمها، وقد غضب عليه أخوه هارون وأخته مريم بسبب هذه الزيجة، ولكنّ الله رضى عنها، وارتضاها، وغضب على هارون وأخته لمعارضتهما مشيئة الله (٤).

(١) اليهود واليهودية ١٣.

(٢) العرب واليهود ٥١٤.

(٣) خروج ١٢: ٢١.

(٤) عدد ١٢: ١.

والمؤكد أنّ الزيجتين بعيدتان تمامًا عن بنى إسرائيل؛ والمعروف أنّ آل يعقوب -  
الذين يدعونهم الإسرائيليين زورًا وبهتانًا - عند نزولهم إلى مصر اختلطوا بالمصريين،  
وذابوا تمامًا في المجتمع الجديد، ولو كان لهم وجود في ذلك الوقت لتزوج موسى  
منهم.

✽ روى يوسيفوس عن مانيثون أنّ موسى من أهل هليوبوليس، وهو واحد من  
كُهانها، وكان اسمه أوسارسيف، على اسم أوسيرس إله هليوبولس، وأنّه تزعم  
ثورة على عبادة الأوثان التي كانت منتشرة في عصره، وأنّه خرج للتبشير بديانة  
التوحيد<sup>(١)</sup>.

✽ ويؤكد الفيلسوف فيلون الإسكندري Philon d'Alexandrie<sup>(٢)</sup> أنّ موسى  
كان مصرياً<sup>(٣)</sup>.

✽ ويذكر المؤرخ الأمريكي ول ديورنت أنّ موسى اسم مصري، لعله اختصار  
للفظ "حموس"، وينقل عن جارسنتج أنّه اكتشف في مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت  
أنّ أم موسى هي الأميرة حتشبوت ( ١٥٠١ - ١٤٧٩ ق. م. ) - والتي حكمت  
مصر فيما بعد - وأنها ولدتها في عام ١٥٣٧ ق. م.، وأنّه تربى في بلاطها بين حاشيتها،  
وفّر من مصر في عهد تحوطمس الثالث ( ١٤٧٩ - ١٤٤٧ ق. م. ) لأنّه كان عدوا  
لها<sup>(٤)</sup>.

✽ ويؤكد الأثرى بريستد Breasted أنّ موسى مصري عريق، فكلمة "مس"  
معناها "طفل"، وهي مختصرة من اسم مركّب من اسمين على عادة الأسماء المصرية  
القديمة، فيكون الاسم الأول واحدًا من أسماء الآلهة، فيقولون: آمون - مس، أو

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٢٦، والعرب واليهود في التاريخ ٥٨٦.

(٢) ٢٠ - فيلون الإسكندري ( ٢٠ ق م - ٤٠ م ) فيلسوف، ومؤرخ يوناني، من أصل يهودي مولده في  
الإسكندرية، ويجمع في فلسفته بين الإفلاطونية وتعاليم العهد القديم، وله كتاب ضخّم في جزأين  
عن حياة موسى " La Vie de Moise ". انظر: Guy Rachet ; op cit , p ٧١ ، وانظر:

Nouveau Petit LAROUSSE p ١٦٠٨.

(٣) العرب واليهود في التاريخ ٥٨٥، وانظر: Guy Rachet ; op cit , p ٤٧٣.

(٤) قصة الحضارة ٢ / ٣٢٦.

بتاح مس، وربّما كان قبل اسمه واحد من تلك الأسماء، زال تدريجياً بكثرة الاستعمال، حتّى صار الولد يسمّى "موسى" (١).

❁ وأكّد سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ - ١٩٣٩ م) - عالم النفس اليهودى الشهير - أنّ موسى ﷺ كان مصرياً، وليس إسرائيلياً، وكان مختننا - والختان عادة مصرية قديمة جداً، أشار إليها هيرودت - وأنّ ديانة موسى هى نفسها الديانة الّتى تدعو إلى عبادة الإله "أدوناي" الوارد فى التوراة بمعنى عبادة الإله آتون، مع العلم أنّ تقديم الأضحية والقرايين - وهما من أسس الديانة اليهودية - عادة مصرية قديمة، كما أنّ تحريم لحم الخنزير عند اليهود مقتبس من المصريين الّذين كانوا ينفرون من الخنازير (٢).

وفى الحقيقة أنّنا لا نجد نصّاً دينياً واحداً ينسب سيّدنا موسى ﷺ صراحة إلى بنى إسرائيل، لا فى القرآن الكريم، ولا فى الأسفار اليهودية.

ولو تأملنا آيات القرآن الكريم تأكّد لنا أنّ موسى ﷺ مصرى، وأرسل إلى المصريين؛ لأنّ الله ﷻ ما بعث نبياً إلى قوم إلاّ إذا كان من أوسطهم نسباً، وأعرفهم بهم، ويتحدّث لغتهم.

ففى القرآن الكريم: آيات كثيرة تؤكّد أصل موسى ﷺ المصرى، فمن ذلك:

❁ قال تعالى: ﴿ إِنَّ قُرُونَكُمْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَنِي عَلَيْهِمْ ﴾ (٣). وقال: ﴿ وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمَانٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمٰنَ وَقُرُونٌ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٣٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٥٨٦.

(٢) العرب واليهود فى التاريخ ٥٨٧.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٧٦.

(٤) سورة العنكبوت ٢٩: ٣٩.

عِنْدَنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ  
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١﴾ .

فالأيات تصرّح بأنّ قارون من قوم موسى، ومن قومه أيضا فرعون وهامان،  
والله أرسله إليهم، فكذبوه، وقتلوا أبناء من آمن معه واستحيوا نساءهم، وهم  
المصريون الذين آمنوا برسالة موسى ﷺ.

✽ في يوم الزينة الذي حشر له فرعون السحرة المصريين من كل مدائن مصر،  
وظهر لهم صدق رسالة موسى ﷺ فجاهروا ببيانهم، قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ  
سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (٢).

فالسحرة المصريون آمنوا ورضوا بأن يتحمّلوا العذاب الذي عاقبهم به فرعون  
فقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلّبهم في جذوع النخل.

✽ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ  
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِقَائِلَتِنَا أَنْ أَخْرِجْ  
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ  
شَكُورٍ ﴾ (٣).

ومن هذه الآيات يتأكد لنا أنّ سيدنا موسى ﷺ مصرى، أرسل إلى المصريين،  
ويتحدث بلسان المصريين، والمؤمنون به مصريون.

✽ قال تعالى: ﴿ فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾ (٤).

جاء في تفسير القرطبي:

الذرية: هم مؤمنوا بنى إسرائيل، وذلك أنّ يعقوب ﷺ دخل في مصر في ٧٢  
إنسانا؛ فتوالدوا بمصر حتّى بلغوا ستمائة ألف.

(١) سورة غافر ٤٠: ٢٣-٢٥.

(٢) سورة طه ٢٠: ٧٠.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٤-٥.

(٤) سورة يونس ١٠: ٨٣.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "من قومه" يعنى من قوم فرعون، منهم: مؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأته، وماشطة ابنته، وامرأة خازنة... وقيل: هم أقوام من القبط وأمهاهم من بنى إسرائيل... فالكناية في "قومه" ترجع إلى موسى للقرابة من جهة الأمهات، وإلى فرعون إذا كانوا من القبط.

❖ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

جاء في تفسير القرطبي: المراد بالبيوت هنا: المساجد، أى: اجعلوا مساجدكم إلى القبلة (بيت المقدس، وقيل الكعبة) وقيل: صلُّوا في بيوتكم سرًّا؛ لتأمنوا.

وفي الأسفار اليهودية: تأكيد على أن الرسالة لا يشترط فيها النسب، فالله "يقود الشعب عن يد أنبياء كموسى الذى يورث روحه باختيار من الله، لا بنظام سلالى"<sup>(٢)</sup>.

واقرا هذا الحوار اليهودى بين كليم الله موسى رضي الله عنه والخالق، وهو حوار يظهر فيه النبى كالمعاتب ربّه على ثقل ما حمّله، قال: "لِمَ أَسَأْتَ إِلَىٰ عَبْدِكَ، وَلِمَ لَمْ أَتَلْ حُطْوَةً فِي عَيْنِكَ حَتَّىٰ أَلْقَيْتَ عَلَيَّ عِبَاءَ هَذَا الشَّعْبِ كُلَّهُ؟ أَلَعَلِّي أَنَا حَمَلْتُ هَذَا الشَّعْبَ كُلَّهُ، أَمْ لَعَلِّي وَلَدْتُهُ حَتَّىٰ تَقُولَ لِي: احْمِلْهُ فِي حِضْنِكَ كَمَا تَحْمِلُ الْحَاضِنُ الرَّضِيعَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتَ لِأَبَائِهِ عَلَيْهَا؟"<sup>(٣)</sup>.

واقرا هذا النص: "هَذَا مُوسَى الَّذِي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: سَيَقِيمُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيًّا مِثْلِي"<sup>(٤)</sup>، ومثله: "قَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ قَدْ خَطِئْتُمْ خَطِيئَةً عَظِيمَةً... يَارَبِّ قَدْ خَطِئَ هَذَا الشَّعْبُ"<sup>(٥)</sup>، ومثله: "وَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: انظُرْ، قَدْ قُلْتُ لِي

(١) سورة يونس ١٠: ٨٧.

(٢) مدخل إلى التوراة "مقدمة الكتاب المقدس" ٦٢.

(٣) سفر العدد، الإصحاح ١١: ١١.

(٤) تشية الاشرع، الإصحاح ١٨: ١٥، وأعمال الرسل، الإصحاح ٧: ٣٧.

(٥) سفر الخروج ٣٢ / ٣٠.

أَصْعِدْ هَذَا الشَّعْبَ، وَلَمْ تُعَرِّفْنِي مَنْ تُرْسِلُ مَعِيَ" (١)، وفي السفر نفسه: "أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَقُولُ لَهُمْ: إِلَهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ" (٢)؛ فلو كان بنو إسرائيل قومه لكان النص: أنا ذاهب إلى أهلي أو قومي... إله آبائي، بل إننا نجد في الأسفار اليهودية ما يؤكد مصريته؛ فقد قالت بنات كاهن مدين لأبيه عندما رجعن إليه مسرعات: "إِنَّ رَجُلًا مِصْرِيًّا خَلَصَنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ، وَاسْتَقَى أَيْضًا لَنَا، وَسَقَى الْغَنَمَ" (٣).

واقراً الأسفار اليهودية من أولها إلى آخرها - مع ثقتنا بأنها تأليف كهنوتي لا علاقة لها بالتوراة - فلن نجد فيها نصاً واحداً يقول فيه مؤلفه: إن موسى ﷺ من بني إسرائيل.

وسيدنا موسى ﷺ رحل إلى بيت الله الحرام في مكة؛ فقد مر رسول الله ﷺ بوادي الأزرق (٤)، فقال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى وَهُوَ هَابِطٌ مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْيِيَّةِ" (٥)، وقد رأينا أن المفسرين ذهبوا إلى أن قبلة موسى ﷺ كانت بيت المقدس، أو الكعبة المشرفة، وهما القبلتان اللتان أجه إليهما المسلمون في صلاتهم.

رأينا فيما سبق أن كل الأدلة التاريخية والدينية تشير إلى إن نبي الله موسى ﷺ مصري الجنسية واللغة، وبعثه الله إلى المصريين، ولم يكن الإسرائيليون - وبالأحرى بقايا من امتزج بالمصريين من سلالة سيدنا يعقوب ﷺ - إلا واحدة من الفئات المستضعفة التي جاء الدين الجديد ليحررها من الظلم والقهر، ولينشر عبادة الله الواحد الأحد، وهي العبادة التي نادى بها سيدنا يوسف ﷺ، ومن بعده إخوانه،

(١) سفر الخروج ٣٣ / ١٢.

(٢) سفر الخروج ٣ / ١٣.

(٣) سفر الخروج ٢ / ١٩.

(٤) وادي الأزرق بالحجاز، وماء في طريق حاج الشام دون نيباء.

انظر: معجم البلدان ١ / ١٦٨.

(٥) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٣٧٤، والحديث ٢٦٨ / ١٦٦ أخرجه مسلم كتاب الإيمان ١، باب الإسراء ٧٤، وانظر تحريجات أخرى في حاشية قصص الأنبياء.

وبعد وفاة هذا الأخير اضطره أتباعه، واضطروا إلى الهجرة بدينهم فرارا من أذى الوثنيين، وهي الصورة المتكررة في كل الأديان السماوية.

أن فكرة التوحيد عقيدة مصرية قديمة، وكان إخناتون آخر من نادى بها قبل موسى، مما دعا بعض المؤرخين إلى اعتبار أن موسى وإخناتون شخص واحد؛ وإذا افترضنا أن النهاية المأساوية التي انتهت بها حياة إخناتون جعلت موسى يفر بفكرة التوحيد خارج مصر؛ لإنقاذها من هجمة الوثنية يصبح هنا فقط لقصده الخروج معنى وقيمة دينية كبيرة.

إن موسى فرض على شعبه "ختان الذكور" وهي عادة مصرية قديمة تدل الشواهد والآثار على انتشارها في مصر من قبل موسى بـ ١٣٠٠ سنة، ولا يملك شخص فرض عادة على قوم إلا إذا كان أميراً ذا سلطة، وكان شعبه يعرف أنه تربى في حجر فرعون.

كانت حاشيته شديدة التمصر، وتعرف باسم "اللادين" الذين فرضوا على اليهود كل عادات المصريين بعد وفاة موسى ﷺ.

إن عدم وجود أي أثر مصري يشير إلى قصة موسى والخروج يمكن تفسيره بمعنى أن المصريين لم يسجلوا شيئاً غير عادى؛ لأن موسى كان يعيش في سلام، وكان شعبه يعيش في وادي النيل في رخاء، يروي العهد القديم نفسه أنهم تحسروا عليه عندما تاهوا في الصحراء " فَتَدَمَّرَتْ جَمَاعَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّهَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: لَيْتَنَا مِتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ حَيْثُ كُنَّا نَجْلِسُ عِنْدَ قَدْرِ اللَّحْمِ، وَنَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ شَبَعْنَا " (١).

إن قصة سيدنا موسى ﷺ مشهورة، ذكر القرآن الكريم منها تفاصيل كثيرة في أكثر من سورة، ولا يخلوا منها كتاب من كتب التفسير أو الحديث أو التاريخ الإسلامي (٢)؛ فبينت صراعه مع فرعون وطرده وقومه إلى سيناء، وغرق فرعون

(١) خروج ١٦ / ٢-٣.

(٢) راجع مثلاً: تاريخ الطبري ١ / ٣٨٥، وقصص الأنبياء لابن كثير ٢٥٨، وتفسير ابن كثير ١ / ٦٣، ودائرة المعارف الإسلامية ٣١ / ٩٧٩٢.

وجيشه، وتلقى موسى الألواح من ربه، وعبادة قوم موسى العجل، وعقابهم بالتيه أربعين سنة، ثم وفاة موسى بعد أخيه وأخته... وكل هذه الأحداث لا خلاف فيها ولا يعنينا هنا ذكرها؛ فهي معلومة للجميع.

### المسيح عيسى بن مريم

سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ ' Le Messie - Christ ' Jésus يمثّل سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ الصُّورَةَ الْمَكْمَلَةَ لِلصُّورِ الْأَرْبَعِ الَّتِي ضَرَبَهَا اللَّهُ ﷻ أَمْثَلَةَ نَاطِقَةٍ بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى الْخَلْقِ، وَهِيَ:

الصورة الأولى: الخلق من العدم؛ فمن التراب أوجد الله ﷻ سَيِّدُنَا آدَمَ ﷺ أبا البشرية، وهو مثال واحد، لم يتكرّر في الخلق.

الصورة الثانية: إيجاد أنثى من ذكر، لا أمّ لها؛ فأوجد الله ﷻ زوج آدم - ولم يرد لها اسم في القرآن الكريم أو السنّة الصحيحة - وآدم عزب، ليس له زوج، وهو مثال واحد، لم يتكرّر في الخلق.

الصورة الثالثة: إيجاد ذكر من أنثى، لا أب له؛ فأوجد الله ﷻ سَيِّدُنَا عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ ﷺ، ومريم عذراء ليس لها زوج، وهو مثال واحد، لم يتكرّر في الخلق.

الصورة الرابعة: إيجاد الأبناء والبنات من زوجين: ذكر وأنثى، وهي الصورة المتكرّرة، وسنّة الله في الخلق.

### المسيح في القرآن الكريم

تحدّثت كتب اليهود عن سَيِّدُنَا الْمَسِيحِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ بما لا يليق في حقّ الأنبياء؛ فاتهمت أمّه الطاهرة بالزنا، وجعلته في الدرك الأسفل من الجحيم باعتباره مجذّفاً، ويهودياً مارقا من الدين.

وفي موضع الدّفاع عن المسيح ﷺ تتخذ كتب المسيحيين موقفا مغالياً؛ فتجعله إلهاً أو ابن الإله، وتجعل أمّه إلهة أيضاً، وتخصّهما بالعبادة مع الله والروح القدس.

ولمّا كان أصدق الحديث كلامُ الله تعالى، والقرآن الكريم مهيمناً على كتب اليهود

والنصارى، ناسخًا لها، ومصححًا لما فيها من زيغ وباطل فإننا نعرف من القرآن الكريم أن الله ﷻ ربط بين سيدنا عيسى ﷺ وبين سيدنا يحيى ﷺ برباط وثيق؛ فكلاهما وُلد ببشارة من الله وكلاهما ولد بمعجزة، وكلاهما أوحى إلى المبشّر به باعتزال الناس، وكلاهما على خلق كريم واحد، وكلاهما أوتى كتابا من عند الله<sup>(١)</sup>.

### فسيّدنا عيسى ﷺ:

ﷻ بَشَّرَ اللهُ بِهِ أُمَّهُ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ﴿١٩﴾ قَالَتْ إِنِّي - أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢١﴾.

ﷻ وأخبرها الملك رسول الله إليها بمولد المسح المعجز، قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَنَّهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًّا ﴿٢١﴾.

ﷻ وأوحى الله إليها باعتزال الناس بقوله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿١٩﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴿٢٠﴾. ويقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَاصِيًّا﴾ ﴿٥٠﴾.

ﷻ ووصفه القرآن الكريم بالخلق الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ﴿١٩﴾ وَرَبًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٢٠﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢١﴾.

ﷻ ووصفه بأنه رسول من الله أعطى كتابا في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٧٧﴾.

(١) راجع ٤٥٦.

(٢) سورة مريم ١٩: ١٧-١٩.

(٣) سورة مريم ١٩: ٢٠-٢١.

(٤) سورة مريم ١٩: ١٦-١٧.

(٥) سورة مريم ١٩: ٢٢.

(٦) سورة مريم ١٩: ٣١-٣٣.

(٧) سورة مريم ١٩: ٣٠.

والكتاب هنا - مثل كتاب سيدنا يحيى - ليس ديناً جديداً ناسخاً للشرائع السابقة عليه، بل هو متم لها<sup>(١)</sup>، وهو القائل: لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَبْطَلِ الشَّرِيعَةَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ مَا جِئْتُ لِأَبْطَلِ، بَلْ لِأَكْمَلِ، الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يَزُولَ حَرْفٌ أَوْ نُقْطَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ حَتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ، أَوْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ فَمَنْ خَالَفَ وَصِيَّةً مِنْ أَصْغَرِ تِلْكَ الْوَصَايَا وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَهُ، عُدَّ الصَّغِيرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ، وَأَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا فَذَاكَ يُعَدُّ كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ"<sup>(٢)</sup>.

والدليل على أن كتاب المسيح ليس ديناً جديداً قول الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورًا وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والمسيحيون أنفسهم يعرفون هذه الحقيقة، وهي جزء من عقيدتهم ومن أقوالهم في ذلك:

✻ - كان العهد القديم الكتاب الوحيد بالنسبة إلى يسوع وإلى الكنيسة في أوّل أمرها، وهو بصفته كتاب التربية اليهودية قد هدّب إلى حدّ ما نفس يسوع، ويسوع بدوره تبنّى قيمه، وأدخلها في إنجيله؛ لأنّه لم يأت ليبطل الشريعة والأنبياء، بل ليكملها<sup>(٤)</sup>.

ومن المتفق عليه بين المؤرخين المسيحيين أنّ المسيح عيسى بن مريم عاش ثلاثاً وثلاثين سنة، وكانت مدّة دعوته ثلاث سنوات فقط، ونلاحظ هنا أمرين هامّين:

الأوّل: أنّ فترة السنوات الثلاث الأخيرة - فترة الدعوة - واضحة كل الوضوح، جاءتنا بتفاصيل عن حياة المسيح بين تلاميذه، وحواريه، وأعدائه، ونكاد نلمس فيها نبض قلبه، وتردّد أنفاسه، وأقواله، وأعماله، لا تخفى منها خافية.

(١) ٢٦ - عقائد النصارى الموحدون ١١.

(٢) متى ٥: ١٧ - ١٩.

(٣) سورة المائدة ٥: ٤٦.

(٤) مقدمة الكتاب المقدس " طبع دار المشرق " ٥٥.

والآخر: فترة الثلاثين سنة الأولى من عمره مجهولة تماماً، وليس بين أيدينا أى خبر صحيح عنها؛ فلا أحد يعرف أين ولد، ولا متى ولد، ولا كيف ولد؟  
ولا أحد يعرف أين نشأ وتربى، ولا كيف نشأ وتربى؟

واطلب أى كتاب شئت فى تاريخ المسيح، تجده يبدأ بالحديث عن ميلاده المعجز، وبعده ينتقل إلى صفاته، ودعوته، وأعماله... دون أن يقدم شيئاً ذا بال عن حياته الخاصة، ونشأته قبل الدعوة، وكل ما يمكن أن نجده فيها حديثين اثنين فقط:

الحدث الأول: تعميده على يد النبى يحيى عليه السلام، دون ذكر لوقت هذا التعميد متى كان، وكم كان عمر المسيح حين عمّد؟

والحدث الآخر: اختبار إبليس المسيح فى البرية، وصحبه له أربعين يوماً، وقد ورد ذكر هذه الصحبة الشيطانية فى البشائر<sup>(١)</sup>، ولا أعرف من أين جاءت للشيطان هذه القدرة العجيبة على أن يقود المسيح - وهو الإله بزعمهم - "إلى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَلِكِ الدُّنْيَا وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هَذَا كُلَّهُ إِنْ جَنَوْتَ لِي سَاجِدًا"<sup>(٢)</sup>.

ونسأل أصحابنا المسيحيين:

كيف عرف الشيطان المسيح؟ وكيف اهتدى إلى مكانه؟

ألستم تزعمون أن المسيح لبس "جسدًا آدميًا؛ ليكون بما لبس منه عن الشيطان خفيًا، فتنكر الابن بذلك له؛ لكى لا يجترس الشيطان منه، فلا ينفذ فيه مكره"<sup>(٣)</sup>، ولكن يبدو أن المسيح لم يحسن التنكر والتخفى؛ فكشفه الشيطان، وعرف مكانه.

### مولد المسيح ونشأته

قلت: ليس بين أيدينا أى خبر صحيح عن مولد المسيح ونشأته، وسأذكر بعض الأمثلة:

(١) انظر: مرقس ١: ١٢-١٣، ومتى ١: ١١-١٤، ولوقا ١: ١٤-١٣.

(٢) متى ١: ٨-٩.

(٣) الرد على النصارى ٣٨.

✿ "لم يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن الفترة من سن الاثنتى عشرة إلى الثلاثين من عمره" (١).

✿ يقول جون كلارك - الباحث في وثائق قمران :-

" إنَّه من الممكن أنَّ المسيح عاش قبل مائة سنة من التاريخ الَّذى أجمع الناس عليه حتَّى الآن " (٢).

إنَّ صحَّ هذا الخبر فقد انهدم كل تاريخ المسيحية؛ فلم يكن معاصراً لهيرودوت، ولا ليوحنا المعمدان، ولا لغيرهما من الأشخاص التاريخيين...

✿ ولد سيِّدنا عيسى بن مريم عليه السلام في بيت لحم، وهى قرية قريبة من بيت المقدس (٣).

✿ ولد في مذود في فندق قروى مزدحم في طريق بيت لحم (٤).

✿ ولد في الناصرة (٥)، ومن المؤرخين من يزعم أنَّ المسيح لم يكن قط من الناصرة، والأكثر من ذلك زعمهم أنَّ مدينة الناصرة لم يكن لها وجود أصلاً في ذلك الوقت؛ لأنَّها لم تُذكر قط في كتب الأسفار اليهودية، ويذهب اللاهوتيون المسيحيون مذاهب شتى في تعليل هذا الاسم تعليلاً لغوياً، ويقارنون بين الفعل العبرى " نصر " والعبرى " نظر " ليستنتجوا من ذلك أنَّ الناصرة قديماً كانت تسمى نذيرة بمعنى " الطليعة "؛ لأنَّها كانت مرقباً لكشف جبل الشيخ والكرمل ومرج ابن عمير... (٦) وزعم القس فريز صموئيل أنَّه بهذا التفسير اللغوى " تزول الصعوبة الَّتى اعترضت المفسرين الغربيين على الخصوص " (٧).

(١) السنوات المجهولة ٩.

(٢) المصدر السابق ١٣٢.

(٣) تاريخ لبنان ٢٥٢.

(٤) لوقا ٢: ٧.

(٥) تاريخ ابن الجزرى ١ / ٥٠.

(٦) السنوات المجهولة ١٨٨ - ١٩٣.

(٧) المصدر السابق ١٩٣.

✿ ولد في كهف على بعد ثلاثة أميال من بيت لحم<sup>(١)</sup>.

✿ وزعم وهب بن منبّه أنّه ولد بمصر، وسعى ملك الفرس في قتله؛ فاحتملته أمّه، وذهبت به إلى مصر؛ فأقامت بها حتى بلغ عمره اثنتى عشرة سنة<sup>(٢)</sup>.

✿ ومن المسيحيين من أنكر وجود المسيح أصلاً<sup>(٣)</sup>.

✿ كان الأسينيون ينتظرون مسيحين لا مسيحا واحدا<sup>(٤)</sup>.

وتفسير هذا الغموض في سيرة المسيح أراه يرجع إلى سبيين رئيسين:

السبب الأول: طبيعة الميلاد؛ فلا نعرف شخصا في التاريخ، ولد بلا أب من البشر إلا المسيح عيسى، وما جرّه هذا الحدث الفذ من أثر نفسى أوجب الإحساس بالخجل والعار وهو الإحساس الذى عانت منه السيدة مريم بين أهلها وأترابها؛ فقد اتهمت بالزنا، وحاول بعض المسيحيين إثبات نسب ابنها إلى يوسف النجار، واتهمها اليهود بأنّها حملت سفاحا من جندى رومانى اسمه بانثيرا Panthera، ويصوّر القرآن الكريم شدّة معاناتها بأنّها تمنّت الموت لتتخلّص من هذا العذاب ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٥١﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٥٢﴾، ومن المؤكّد أنّ هذا الميلاد ترك آثاره البعيدة المدى في حياة السيدة مريم<sup>(٦)</sup>، كما عانى من هذا الميلاد المسيح نفسه بين أنصاره ومناوئيه، وكثيرا ما عيروه نسبه، فعندما قال: "أَنَا الشَّاهِدُ لِنَفْسِي، وَالْأَبُ الَّذِي أُرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي أَيْضًا، فَقَالُوا لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟" <sup>(٧)</sup>، وعندما قال لهم المسيح: "أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ آبَائِكُمْ، قَالُوا لَهُ: نَحْنُ لَمْ نُؤَلِّدْ لِرِزْنِي، وَلَنَا أَبٌ وَاحِدٌ هُوَ

(١) أبو كريفا العهد الجديد ٥٩.

(٢) قصص الأنبياء، للطبرى ٣٥٤.

(٣) حياة المسيح ١٠٠.

(٤) السنوات المجهولة ١٠٤.

(٥) سورة مريم ١٩: ٠٢ - ٢٤.

(٦) عقائد النصارى الموحدية ٩١ - ١١٠، وسر مريم أم المسيح ١٠٦ - ١١٦.

(٧) يوحنا ٨: ١٨ - ١٩.

الله<sup>(١)</sup>، ولا يخفى ما في هذا القول من التعريض بنسب المسيح إلى حدّ أنّه كثيراً ما كان يتجنّب لقاء أمّه، أو يجمعها مكان، وربّما أنكرها<sup>(٢)</sup>.

والسبب الآخر: الإخفاء المتعمّد لسيرته من قبل رجال الكنيسة؛ فقد شهد القرن الثانى الميلادى صراعا فكريا عنيفا بين النصارى الموحدين أتباع المسيح وتلاميذه، وهو فى نظرهم نبي من البشر كغيره من الأنبياء وبين أنصار شاول اليهودى الذى تكفّل بتدمير المسيحيّة وتقويض بنيانها، هذا الشاول ولد بعد وفاة المسيح، وكان من أشد أعداء المسيحيين، يتبعهم بالعذاب والأذى، ثم خطر له أن يُفسد العقيدة ذاتها، ويُضللّ معتنقيها فيكون أثره أبقى، وغرضه أوفى، فزعم أنّ المسيح ظهر له، وناداه، وأخبره أنّه اختاره رسولا للأمم، يبشّر برسالته، ولما كان المسيح قد مات منذ زمن طويل، فكيف ظهر له وحدّته؟ وهنا لا بدّ من إجابة مقنعة؛ فادّعى شاول اليهودى أنّ المسيح حيٌّ، لم يمت، فهو إله، ووجدت هذه العقيدة الجديدة رواجاً بين الوثنيين؛ لاعتيادهم تأليه البشر وعبادتهم، ثم اعتنقها المسيحيون، وسمّوا شاول اسما مسيحيا؛ فأصبح اسمه بولس الرسول، وإذا كان المسيحيون يزعمون أنّ المسيح قام من بين الأموات - بعد صلبه - وأوصى حواربيه، وتلاميذه، وهو أمر يبدو مقبولا فكيف غاب عنهم أن يسألوا أنفسهم هل من سبب مقبول لظهور المسيح لأعدى أعدائه هو وأتباعه؟ وكيف استطاع هذا الدجال الأفاك أن يخدعهم عن دينهم، وأن يبدّل لهم بعقيدتهم التوحيدية عقيدة وثنية؟

وكيف غاب عنهم أنّه صور لهم ربّهم على أنّه اللعنة، وأنّهم ملعونون لأنّهم يعبدون اللعنة نفسها " ١٣ إنّ المسيح حرّزنا بالفداء من لعنة الشريعة، إذ صار لعنة عوضاً عنا، لأنّه قد كُتب: «ملعون كلّ من علّق على خشبة»،<sup>(٣)</sup>.

ظللّ الصراع بين المسيحيين الموحدين والشاوليين الوثنيين إلى أن انتصرت العقائد

(١) يوحنا ٨: ٤١.

(٢) عقائد النصارى الموحدين ٩١ - ١١٠، وسر مريم أم المسيح ١٠٦ - ١١٦.

(٣) غلاطية ٣: ١٣.

الفاسدة رسمياً؛ فتمَّ تأليه المسيح في مجمع نيقية في سنة ٣٢٥م، حيث تحدّد فيه تساوى " الكلمة " مع الأب في الذات والجوهر؛ فالمسيح هو إنسان وإله في آن واحد، وتمَّ تأليه الروح القدس في مجمع القسطنطينية في سنة ٣٨١م، حيث تحدّد فيه أنّ الروح القدس إله، وهو الأفتوم الثالث من الثالث الأقدس، وتمَّ تأليه السيّدة مريم في مجمع أفسس في سنة ٤٣١ م، حيث تحدّد فيه وحدة الأفتوم في المسيح، وأنّ العذراء مريم هي " أمُّ الله "؛ فأثبت اللقب الذي كانت معروفة به في التقليد المسيحي، وهو " ثيوتوقس " أعنى " أم الله " (١)، وبذلك اكتملت العقيدة المسيحيّة المثلثة، وذلك بالرغم من تواتر الأخبار عن قديسين وقسيسين مسيحيين يؤكدون أنّ المسيح كان نبياً، وليس إلهاً، ولا ابن إله (٢).

ترتّب على عقيدة التثليث هذه العمل على إخفاء أكثر " الأناجيل " التي لا تعترف بتأليه المسيح والتي أطلقوا عليها الأناجيل المخفية، أو المنحولة apocryphe وهي النصوص التي لا تعترف الكنيسة بها، ولا تقبلها في قانون الكتاب المقدّس، ومن المؤكّد أنّ هذه الأناجيل كانت تحتوى على تفاصيل عن حياة المسيح، ربّما كانت تنفق في مجملها مع ما جاء في القرآن الكريم، ومن هذه الأناجيل المخفية " المؤلف المعروف باسم إنجيل يعقوب يروى رواية مفصّلة أناجيل الطفولة، ويولى اهتماماً خاصّاً بما جرى لمريم، وبأحداث ميلاد يسوع " (٣).

ولا أعرف من أين جاء لفظ " التثليث " هذا، ونحن في الحقيقة أمام " ترييع " لا تثليث؛ فلا أعرف أنا، ولا أعلم أنّ أحداً من الناس يعرف أنّ الآلهة قسمان: إله يعبد، وإله لا يعبد.

فإذا كانت السيّدة العذراء مريم أصبحت إلهة، ورفع جسدها إلى السماء بعد موتها كما رفع جسد ابنها " الإله " (٤) - فلماذا لم تعبد مع ابنها وأبيه والروح القدس؟

(١) فلسفة الفكر الديني ٢ / ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢) السنوات المجهولة ١٣٢.

(٣) مدخل إلى العهد الجديد ١١.

(٤) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ٣١٦.

ألاّتها امرأة لم تجد من يدافع عنها، ويحفظ لها هبة ألوهيّتها؟ أم لأنّ عبادتها ستغيّر الثالث إلى رابوع، فاكتفوا بعبادتها سرّاً، وإنّ الله حلّيم ستّار؟

فقد زعم السيّد بطرس توديود أنّهم عندما وصلوا إلى بيت المقدس في الحرب الصليبيّة الأولى، وقف المسلمون معجبين بالمشهد الرائع للمسيحيين الذين " واصلوا المسير في موكبهم حتّى وصلوا إلى دير القديسة مريم المباركة في وادي جوزفات الذي رُفِعَ منه جسدها المقدّس إلى السماء<sup>(١)</sup>؛ ومن هنا أصبحت الكنيسة الكاثوليكية تقدّس السيدة مريم، وتسميها (والدة الإله) و(خطيبة الله)، وتخصّصها ببعض الصلوات والابتهالات<sup>(٢)</sup>.

ونعود فنسأل: هل نحن أمام ثالث أو رابوع أو خاموس؟

فقد أضاف المسيحيّون إلى معبوداتهم معبوداً خامساً، فمن المعروف أنّ الكنائس النصرانية - عدا البروتستانت - تعظّم الصليب، وتعبدّه، وتعتبر منكر عبادته مرتداً؛ وتصنع لذلك الصلبان الذهبية والمعدنية والخشبية، ويسجدون لها، ومن صلواتهم قولهم في ترنيمة السبت (بعد جمعة الآلام): "لثالث الأقدس، ولصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح، وللعدراء المباركة الدائمة البتولية، ولجميع القديسين ليكن الحمد الدائم والكرامة والثناء والمجد في كل الخليقة، ولنا مغفرة جميع خطايانا إلى أبد الأبدين"<sup>(٣)</sup>.

لم يكن انحرف العقيدة المسيحيّة إلى التثليث هو النتيجة الوحيدة للغموض الذي أحاطت به الكنيسة سيرة المسيح ورفضها لأكثر البشائر بل كانت هناك نتائج أخرى كثيرة، منها:

(١) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ٣٢٨، وفي الحاشية ينقل الدكتور حسين محمد عطية تعريفاً بوادي جوزفات من كتاب الممتلكات الكنسيّة في مملكة بيت المقدس الصليبيّة لسعيد البيشاوي بأنّه الوادي الممتد شرقي بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقاً وجبل موريا غرباً، ويعرف بعدّة أسماء، منها: وادي جهنم، ووادي مريم، ووادي النار، ووادي سلوان...

(٢) سلسلة الهدى والنور، المقال الثالث "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة".

(٣) سلسلة الهدى والنور، المقال الثالث "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة"، ويذكر فنديك ترنيمة أخرى في كتابه كشف الأباطيل، في الملحق الثالث، في آخر الكتاب.

اختلاط العقيدة المسيحية بغيرها من العقائد غير المسيحية.  
ظهور قصص يكمل سيرة المسيح الناقصة ويرسم لها نهاية مختلفة.  
ظهور الكثير من ادعاء النبوة والتجسد الإلهي فيهم.  
تأثيل أسطورة الخلاص واعتبارها أصلاً من أصول العقيدة.  
وليبيان تلك النتائج نقول:

✻ اختلاط العقيدة المسيحية بغيرها: فعادة ما تختلط عقيدة عودة المسيح بعقيدة المهدي المنتظر؛ ففرقة الأحمديّة مثلاً تعتقد أنّ المسيح بعد موته الظاهر أمام الناس على الصليب بُعث من جديد، وعاش حياة طبيعيّة، وهاجر إلى الهند، وإلى كشمير؛ ليُشرّ بالإنجيل، ومات هناك وعمره مائة وعشرون عاماً، ودفن في سريناجار Srinagar، ومن عقيدتهم أيضاً أنّ المهدي تجسّد لثلاثة: المسيح، ومحمد، وكريشنا Krishna<sup>(١)</sup>.

✻ ظهور قصص تكمل سيرة المسيح: كانت الأُمَّ اليهوديّة أُمَّ قليلة العدد، وكانت ترغب في زيادة عددها؛ "ومن أجل هذا كانت تعلى من شأن الأمومة، وترى العزوبة خطيئة وجريمة، وتجعل الزواج إجبارياً بعد سنّ العشرين، لا تستثنى من ذلك الكهنة أنفسهم، وتزدري العذارى التي في سنّ الزواج، والنساء العاقرات، وتنظر إلى الإجهاض وقتل الأطفال، وغيرهما من وسائل تحديد النسل على أنّها من أعمال الكفرة البغيضة التي تؤذي خياشيم الرب"<sup>(٢)</sup>، ولما كان المسيح يهودياً وعاش أكثر من سنّ العشرين؛ فمن الواجب إذن أن تكون له أسرة زوج وأولاد، ومن هنا كانت القصة التالية:

قال نقولا نوتوفيتش في كتابه " حياة المسيح المجهولة " الصادر في سنة ١٨٩٤م: إنّه سافر إلى الهند، وحلّ في دير لاسا، وهو من أديار الرهبان البوذيين، وهناك علّمه اللغة السنسكريتيّة، وأخبروه أنّ المسيح زار بلادهم، وهو في الثانية عشرة من

(١) دائرة المعارف ٢٤ / ٧٥٣٥.

(٢) قصة الحضارة ٣ / ٣٧٥.

عمره، وأقام بينهم، واقتبس من مبادئهم، وتفقه بكل تعاليم بوذا، ولما عاد إلى اليهودية أذاع هذه التعاليم على الشعب، وأطلعوه على إنجيل كتبه السيد المسيح بخط يده، بلغتهم، حين زار بلادهم.

وقال نوتوفيتش: إنه نسخ هذا الإنجيل، وعاد به إلى أوديسا، طبعه هناك، ثم سافر إلى فرنسا، ونشره باللغة الفرنسية<sup>(١)</sup>.

ويقول د / فريز صموئيل: بعد ظهور هذا الإنجيل سلط عليه النقاد أقلامهم، وفندوا ما جاء فيه من مفتريات، وأثبتوا أن نوتوفيتش كذاب، ولا أساس لهذا الإنجيل المزعوم<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة أن هذه المعلومة تتفق وما هو معروف حول وجود قبر للسيد المسيح في بلدة سريناجار في الهند، أي أنه عاش، وسافر حتى استقر به المطاف هناك، ورفع الله إليه عند انتهاء عمره، ولم يقتل، ولم يصلب.. وهو ما تناوله العديد من الأبحاث منذ كتاب جيرارد ميسادييه المعنون: "الرجل الذي أصبح الله!"<sup>(٣)</sup>.

✻ أدعياء النبوة والتجسد الإلهي: نعرف أن اليهود أنكروا نبوة المسيح وما زالوا ينتظرونه إلى يومنا هذا؛ وكان ذلك دافعا إلى ظهور الكثير من الأدعياء، فمنذ القرن الأول لا يكاد يمر جيل دون أن يظهر شخص أو أكثر يدعى أنه ابن الله، أو أنه المسيح المنتظر، وليس من أهداف هذه الدراسة تقديم حصر لهؤلاء الأدعياء، أو التاريخ لهم، فهم كثير، وإنما أكتفى بمثالين فقط:

✻ ظهر المسيح في شخص يدعى شينودرس<sup>(٤)</sup>.

✻ وفي منطقة برتاني Bretagne يعلن إيون الليتوالى Eon de l' Etoile أنه ابن الرب، ويعلن الحرب على الإكليروس<sup>(٥)</sup>.

(١) السنوات المجهولة ١١.

(٢) المصدر السابق ١٢.

(٣) المصدر السابق ١٥، وانظر: شفرة دافنشي والمؤسسة الكنسية، مقال للدكتورة زينب عبد العزيز، تجده في ملاحق الكتاب.

(٤) الكتاب والتوراة ١٧٧.

(٥) تاريخ الفكر الحر ٦٦.

✽ أسطورة الخلاص: تتلخّص أصول العقيدة المسيحية فيما يسمونه الأمانة الكبرى، ونصّها " نؤمن بالله الواحد الآب، ضابط الكل، مالك كل شيء، مانع ما يُرى وما لا يُرى.

ونؤمن بالرب الواحد يسوع بن الله الواحد، بكر الخلاق كلّها الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلّها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقن، وصار إنساناً، وحُبل به، وولد من مريم البتول، وصلب أيام بيلاطس الملك، ودفن، وقام فى اليوم الثالث، كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات.

ونؤمن بروح القدس المحيى، المنبثق من أبيه الذى هو بموقع الآب والابن، يسجد له، ويمجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدّسة رسولية، وبمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وترجى قيامة الموتى والحياة والدهر العتيد، أمين" (١).

إنّ العدل الإلهى يقتضى ألاّ يترك المذنب بلا عقاب، ويعاقب البرىء بدلاً عنه، وفى الوقت نفسه لا يعاقب المذنب عقابين على ذنب واحد؛ فإذا كان سيّدنا آدم عليه السلام قد أخطأ فى عصيانه أمر خالقه فقد عوقب على خطئه بالطرد من الجنة، وفرض المشقة عليه فى مكابدة العيش، ونُقذ هذا العقاب، وسقط الذنب، والقرآن الكريم يذكر أنّ سيّدنا آدم تلقى كلمات من ربه، فتاب عليه، وعفا عنه.

وليس من العدل الإلهى أن يعاقب الله المذنب، وفى الوقت نفسه يظلّ الذنب ميراناً للأبناء الذين لم يرتكبوا معصية، وعليهم أن يتحملوا جريرة إثم لم يتكبوه، بل فعله أبوهم.

ولو أنّ فداء المسيح عليه السلام - فى زعم المسيحيين - رفع المعاناة عن البشر: فالإنسان يأكل دون أن يعمل، والمرأة تلد دون أن تألم، والحية أصبح لها قوائم تسعى بها، ولم تعد تزحف على بطنها، أو تأكل التراب، لوحدث كل هذا لكان الفداء حقيقة واقعة.

(١) مجموعة ديدات "الله فى العقيدة المسيحية" ١ / ٢٠٩.

أما إذ لم نجد أثرًا للفداء فنحن أمام أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: إما أن الله لم يقبل هذا الفداء، وأبقى كل شيء على ما هو عليه؛ وفي هذه الحالة لا معنى للطنطنة التي يملأ بها المسيحيون سمع الدنيا، ولا معنى للمنّ على البشرية بفداء مرفوض مردود على صاحبه.

والاحتمال الآخر: وإما أن يكون الفداء أسطورة، لا أساس لها، وإنما ابتدعها شاول اليهودي ضمن بدعه الكثيرة التي بدّل بها دين الله ممثلًا في رسالة المسيح إلى دين وضعي وثني، لا علاقة له بتعاليم المسيح.

وزعم الأبا شنودة الثالث أن المسيح كان فداء لخطيئة العمد التي ارتكبتها جدّه داود<sup>(١)</sup>، بل كان فداء للبشرية كلها " ٢ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِحَطَايَانَا، لَا لِحَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِحَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ. " <sup>(٢)</sup>، وقد ناقش الأستاذ حسنى يوسف الأثير مسألة الفداء مناقشة عقلية منطقية<sup>(٣)</sup>، ونسأل أصحابنا المسيحيين: أستم تؤمنون إيمانًا أكيدًا بما جاء في الأسفار اليهودية التي نصّت على لعنة المصلوب: " ٢٢ إِنْ اِرْتَكَبَ إِنْسَانٌ جَرِيمَةً عِقَابُهَا الْإِعْدَامُ، وَتُقَدَّ فِيهِ الْقَضَاءُ وَعَلَّقْتُمُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ، ٢٣ فَلَا تَبْتَ جُثَّتَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ اذْفِنُوهُ فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّ الْمَلْعُقَ مَلْعُونٌ مِنْ اللَّهِ. فَلَا تُنَجَّسُوا أَرْضَكُمْ الَّتِي يَبْهَهَا لَكُمْ الرَّبُّ مِيرَاثًا. " <sup>(٤)</sup>، فكيف يكون المسيح المصلوب الملعون بزعمكم فداء للمؤمنين غير الملعونين؟

والحقيقة أن حكاية الفداء هذه ترجع إلى كثير من الأساطير الوثنية القديمة حيث كان الوثنيون يأتون برجل "يضحيّ به في وقت البذر حتى تخصب الأرض بدمائه... حتى إذا ما حلّ موسم الحصاد فسروه بأنه بعث للرجل الذي مات ضحية، فكانوا يخلعون عليه قبل موته وبعده جلال الآلهة، ومن هذا الأصل نشأت

(١) سنوات مع أسئلة الناس ١٢٦.

(٢) رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢.

(٣) المواجهة ٢٦٣.

(٤) انظر: تثنية ٢١: ٢٢ تحت عنوان ملعون من يعلق على خشبة، وراجع المواجهة ٣٥٣.

الأسطورة التي تروى في ألف صورة مختلفة كيف يموت الله في سبيل شعبه، ثم يعود إلى الحياة بعدئذ ظافراً<sup>(١)</sup>.

والسؤال المهم الآن: هل تركت أسطورة الفداء المسيحية هذه أثراً في تاريخ البشرية؟

والإجابة: نعم، لقد تركت أثراً بالغ العمق، انحدر بالإنسانية إلى أسفل درجات الوحشية والغلظة والقسوة، وإن خدعونا - كعادتهم - بمثل قولهم: "٣٥ وَلَكِنْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا الْمُعَامَلَةَ، وَأَقْرِضُوا دُونَ أَنْ تَأْمَلُوا اسْتِيفَاءَ الْقَرْضِ، فَتَكُونَ مِثْلَ الْبُذُرِ، وَتَكُونُوا أَبْنَاءَ الْعَلِيِّ، لِأَنَّهُ يُنْعِمُ عَلَى تَاكْرِى الْجَمِيلِ وَالْأَشْرَارِ. ٣٦ فَكُونُوا أَنْتُمْ رُحَمَاءَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ رَحِيمٌ."<sup>(٢)</sup>، ويقولون في صلاتهم " ١٢ وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، كَمَا نَعْفِرُ نَحْنُ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا!"<sup>(٣)</sup>، ويرددون دائماً أن الله محبة " ٧ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لِنَحِبْ بَعْضُنَا بَعْضًا: لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَصْدُرُ مِنَ اللَّهِ. إِذَنْ، كُلُّ مَنْ يُحِبُّ، يَكُونُ مَوْلُوداً مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ."<sup>(٤)</sup>، ويزعمون أن المسيح نهاهم عن الانتقام " ٣٨ وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. ٣٩ أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بِمِثْلِهِ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، فَأَذِرْ لَهُ الْآخَرَ؛ ٤٠ وَمَنْ أَرَادَ مُحَاكَمَتَكَ لِيَأْخُذَ ثَوْبَكَ، فَاتْرُكْ لَهُ رِدَاءَكَ أَيْضًا؛ ٤١ وَمَنْ سَخَّرَكَ أَنْ تَسِيرَ مِيلاً، فَسِرْ مَعَهُ مِائِينَ. ٤٢ مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئاً، فَأَعْطِهِ. وَمَنْ جَاءَ يَقْتَرِضُ مِنْكَ، فَلَا تَرُدَّهُ خَائِباً"<sup>(٥)</sup>... إلى آخر ما يرددونه من مثل هذه الأقوال التي أفرغوها من مضمونها، وحولوا معانيها إلى القتل والسُّطو والنهب والاعتصاب والعدوان، وكل أنواع الشرور؛ فكان أتباع المسيح سلاح الشيطان على الأرض لنشر الفساد، وإقامة مملكة الشر، ولا عجب: أليس مغفوراً لهم كل ما يفعلون ببركة العماد، والفداء؟ بل في إمكانهم أن يشتروا الغفران بالصكوك إذا عَزَّ الحصول عليه بالبلطجة وسوء

(١) قصة الحضارة ١ / ١١٣.

(٢) لوقا ٦: ٣٥-٣٦.

(٣) متى ٦: ١٢.

(٤) رسالة يوحنا الأولى ٤: ٧.

(٥) متى ٥: ٣٨-٤٢.

الأدب؛ وأصبح أتباع المسيح أعوان الزمان على إنزال الكوارث والمصائب بالبشر،  
ورحم الله أبا الطيب المتنبي:

## كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمُرءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا

قد يقول قائل: إنك تدعى ادعاء بلا دليل، وتقول قولاً غليظاً وكأن كل ما في العالم من شرور ونكبات إنسانية مردّها إلى أتباع المسيح وحدهم، وكأن اليهود لا يخطئون، ولن نؤمن لك حتى تقدّم بين يدي دعواك ما يؤكدها، ويكون حجة لها.

أقول: منذ أن بدأ شاول اليهودي في تشويه رسالة المسيح ﷺ وحرّض المسيحيين على ترك تعاليم السماء والإيمان بأكاذيبه قائلاً لهم:

" ١٥ نَحْنُ يَهُودٌ بِالْوِلَادَةِ، وَلَسْنَا أُمَّمًا خَاطِئِينَ. ١٦ وَلَكِنَّا، إِذْ عَلِمْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ عَلَى أَسَاسِ الْأَعْمَالِ الْمُطْلُوبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ بَلْ فَقَطُ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَمَّنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَتَبَرَّرَ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ بِهِ، لَا عَلَى أَسَاسِ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّهُ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ لَا يُبَرَّرُ أَى إِنْسَانٍ." (١) منذ أن بدأ شاول اليهودي رسالته في إفساد رسالة سيّدنا عيسى ﷺ منذ ذلك الوقت لن تجد فرقاً بين اليهود وبين النصارى، فكلهم صهاينة، وكلهم علمانيون ملحدون؛ فقد جمعت بينهم رسالة الشر، والمصالح المشتركة، بل إن اليهود ركبوا النصارى، واتخذوهم أداة لتحقيق أطماعهم، ووسيلة للسيطرة على العالم، ونشر الضلال والكفر والإباحية، والله ﷻ هو الذى جمع بينهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٢).

ولن تجد في رسائل بولس رسالة واحدة تخلو من الخط من الشريعة والدعوة إلى مخالفة تعاليم موسى ﷺ، ألم يبيع لهم عدم الختان الذى هو العهد بين الله وإبراهيم الخليل بزعمهم؟ ألم يحل لهم أكل لحم الخنزير؟ ألم يغرمهم بشرب الخمر...؟

(١) غلاطية ٢: ١٥-١٦.

(٢) سورة التوبة ٩: ٣٠.

وأنا هنا سأذكر الأدلة القاطعة التي تثبت أن المؤمنين بأسطورة الخلاص هم أنفسهم رسل الشر في العالم كله، وأساس البلاء فيه؛ ولست في حاجة إلى أن أتحدث عن جرائمهم في الحروب الصليبية، وفي اختراع وسائل الدمار الشامل، وفي إباحة الفسق والفجور، وفي تجارة المخدرات وتصنيعها، وفي إبادة شعوب بأكملها والاستيلاء على أرضها وفي العدوان على الشعوب الآمنة، والاعتداء على الأموال والأعراض... فكل هذه الجرائم موثقة في الدراسات التاريخية المستفيضة وفي وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة... وإنما سأقصر حديثي هنا على مفاصد "البابوية" رأس الكنيسة المسيحية وجرائمها ضد الأخلاق والإنسانية والوقوف بحزم في مواجهة الخير والسلام في العالم، ولن أذكر في وثائقي وثيقة إسلامية، أو رأيا لعالم مسلم، وأنا سأثبت وثائقيهم هم، وأستشهد بعلمائهم هم؛ ليحكموا على جرائمهم بأنفسهم من أقوالهم ومن أفعالهم، وأنشر أمامهم أعينهم صحائفهم السوداء التي سطرّوها بأقلامهم، وكتبوها بأيديهم؛ ليكونوا شهداء على أنفسهم.

### مفاصد البابوية

لم تعرف البشرية مؤسسة أو منظمة في العالم ارتكبت من الجرائم ضد الإنسانية ما ارتكبتها المؤسسة البابوية المسيحية، ولنبدأ بجرائمهم ضد أندادهم من البابوات؛ هل سمعت بقضية البابا فورموسوس (Formosus) وكيف حوكم؟

كان فورموسوس هذا بابا الفاتيكان لمدة خمس سنوات في الفترة ٨٩١ - ٨٩٦م، وبعد وفاته، اختير البابا بونيفاتيوس (Bonifatius) من بعده للجلوس على كرسى البابوية، وخطر له أن يحاكم البابا السابق، فأمر بنيش قبره، وإخراج جثته، ووضعها على عرش، وأخضعوها لمحاكمة ظالمة، وتولّى أحد الشماسة الأحياء الإجابة عن الأسئلة التي وجهت إلى الجثة، وصدر الحكم ضده، بإسقاط شرعية انتخابه، وعدم استحقاقه المنصب الديني الكبير الذي كان يتولاه، وأن ينفذ فيه الحكم بعدم دفنه، وإلقاء جثته القذرة في نهر التيبير (Tibre) (١).

(١) انظر: موسوعة المورد، مادة "فورموسوس" CD.

ما رأيك في هذه المسرحية الهزلية؟ ونعود بعدها إلى "البابوية":

بين الكنيسة المصرية والكنيسة الكاثوليكية عداء شديد دفين، لعله أكثر بكثير مما يمكن أن يكون بين الإنسان والشيطان، أو بين القاتل وأبناء القتل، يلتقيان فيتسم كل منهما للآخر في الظاهر، وفي القلب ألدّ الخصام، على الشفاه ابتسامة، وبين الضلوع الكراهية والحقد، وفي مصر يصدر أبناء الكنيسة المصرية كتبًا وصحفًا ونشرات توزّع بالمجان، ويتداو لها النصارى فيما بينهم، لا يطّلع عليها المسلمون، والمصادفة البحتة هي التي ساقت إلى بعضًا من تلك "المدسوسات"؛ ذلك لأنّ هناك أسماء كثيرة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين، ولي صديق يعمل في إحدى الشركات، واسمه لا يظهر فيه أنّه مسلم، فاعتقد موزّع تلك المطبوعات أنّه مسيحي؛ فأرسل إليه بعضًا منها<sup>(١)</sup>، وفي واحدة من تلك النشرات تحمل عنوان "الإنذار الأخير للكرة الأرضية"<sup>(٢)</sup> في ٣٢ صفحة تتناول ثلاثة موضوعات هي: الولايات المتحدة الأمريكية - البابوية - الأمم المتحدة، والذي يربط بين هذه الأطراف الثلاثة هدف مشترك قدّمت له النشرة بالعبارة "سواء أردنا أو لم نرد، كلنا مشتركون في منافسة عالمية شاملة مستميتة ثلاثية الأطراف، لكن معظمنا ليس من المنافسين بل نحن موضوع الرّهان؛ هذا لأنّ المنافسة موضوعها من سيؤسس أوّل نظام حكومة عالمي لم يسبق له مثيل في مجتمع الأمم... والمنافسة مستميتة؛ لأنّها بمجرد أن بدأت لا سبيل إلى إيقافها، أو تحويل مسارها"<sup>(٣)</sup>.

تمنّيت أن أنقل النشرة كاملة هنا - لولا أنّها طويلة - ولكنني أذكر فقط بعضًا من جملها، وفيها الكفاية:

✻ نجح المرتد الأكبر في تعظيم نفسه "على كل ما يدعى إلهًا أو معبودًا" لقد تجرّأ

(١) عنوان المراسلات - كما جاء في النشرة - جلال دوس ص. ب. ٤٥، مدينة العاشر من رمضان، جمهورية مصر العربية - (e-mail: gpdoss@hotmail.com)

(٢) ستجد فيما بعد صورة لغلاف النشرة، وعليه مضمونها، وصورًا لبعض فقرات منها.

(٣) العبارة للملاخي مارتن، وهو راهب يسوعي مطّلع على أسرار الفاتيكان من كتابه Keys of this Blood ص ٥ كما جاء في النشرة.

أن يغيّر الوصيّة الوحيدة في التأموس الإلهي التي ترشد البشر جميعًا بوضوح إلى الله الحى<sup>(١)</sup>.

✿ تأسست البابويّة في القرن السادس تأسيسًا راسخًا، واتّخذت من عاصمة الإمبراطوريّة مقرًا لفرض سيادتها، وأعلن أن أسقف روما هو رئيس الكنيسة جمعاء، حلّت البابويّة محلّ الوثنيّة، وأعطى التنين للوحش "قدرته وعرشه وسلطانًا عظيمًا".

✿ أُجبر المسيحيّون على اختيار أمر من أمرين: إمّا التخلّي عن نزاهتهم وقبول الطقوس والعبادة البابوية أو قضاء حياتهم في غياهب السجون وملاقاة الموت بواسطة التمديد على المفلحة [آلة تعذيب] أو الحرق، أو بلطة الجلاّد.

✿ "إنّنا نحتلُّ على هذه الأرض مكانة الله القدير" البابا ليو الثالث عشر في رسالة دوّارة ٢٠ يونيو ١٨٩٤.

✿ إن البروتستانتى الملمّم بالتاريخ إمامًا كافيًا لا يخامرهم شك في أن كنيسة روما قد سفكت دمًا بريئًا أكثر من أى مؤسسة أخرى وُجدت بين البشر جميعًا... يصعب تكوين فكرة تامّة عن ضحاياها الكثيرين... يقدر المؤرخون أن أكثر من أربعين ألف جريمة قتل ارتكبت باسم الدين لكل سنة من سنوات البابويّة<sup>(٢)</sup>.

✿ اتّخذت البابويّة خطوة جريئة أخرى في القرن الحادى عشر حينما أعلن البابا جريجورى الثامن أن الكنيسة الرومانيّة تتمتع بصفة الكمال، ومن ضمن المسلّمات

---

(١) في صفحة ٦ قائمة بنصوص دينية، وفي مقابلها التغيير الذى أحدثته الكنيسة الكاثوليكية وهذه الصفحة تجدها مصوّرة في نهاية الكتاب.

(٢) تشير النشرة إلى أن المعلومات في هذه الفقرة نقلًا عن كتابين، هما:

W.E.H. Lecky ; History of the Rise and Influence of the Sprit of Rationalism in Europe . vol ٢ p.٣٢ , ١٩١٠ edition.

John Dowling ; The History of Romanism .pp. ٥٤١-٥٥٢.

التي افترضها أن الكنيسة لم تخطئ قط، ولن تخطئ بحسب الكتاب المقدس، ولكن السند الكتابي لم يوافق هذا الزعم كما ادعى كبير الأبحار المتكبر<sup>(١)</sup>.

✻ تم استبدال فريضة العشاء الرباني الكتابية بذبيحة القداس الوثنية، تظاهر الكهنة الكاثوليك من خلال شعائهم السخيفة بتحويل الخبز والخمر إلى [جسد ودم حقيقي] أي: الحضور الحقيقي لجسد ودم ربنا يسوع المسيح في المائدة المباركة، كما هو ثابت في الكتاب المقدس ( Cardinal Wiseman; lecture ٨ , Sec. ٣ , par. ٢٦ ) لقد بلغت بهم الجرأة أن يدعوا القوة على خلق الله، خالق كل الأشياء، طوب المسيحيون تحت تهديد القتل بأن يقرّوا ببيمانهم بهذه البدعة الشنعاء المهينة للسماء، أمّا الجموع التي رفضت فألقى بها في السنة اللهب.

✻ يسجل التاريخ استشهاد ما يزيد على مائة مليون شخص لمجاهرتهم ببيمان مناقض لكنيسة روما ( Brief Bible Readings, p. ١٦ ) في ٢٤ أغسطس ١٥٢٧ قتل الروم الكاثوليك في فرنسا وفق خطة مجهزة وبإيعاز من الآباء اليسوعيين ٧٠ ألف بروتستنتي في غضون شهرين، وطرب البابا لما سمع بنجاح الخطة ( Watchman November ٢١\١٩١٢ ) كريدة كاثوليكية.

✻ تأسست محاكم التفتيش في القرن الثالث عشر، وهي أفظع وسائل للقمع

(١) إن الدليل القاطع على كذب البابا جريجوري الثامن هو ما أعلنه البابا يوحنا الثاني - بابا الفاتيكان - في صلاة القداس في يوم الأحد ٣ / ١٢ / ١٩٩٩م حين دعا إلى الاعتراف بالخطايا التي وقعت فيها الكنيسة ضد الحب والسلام وحقوق الإنسان، وأبدى الندم على وقوع تلك الأخطاء وطلب المغفرة والصفح عنها، وفي الوقت نفسه أصدر البابا وثيقة عن الفاتيكان بعنوان "الذاكرة والمصالحة - الكنيسة وأخطاء الماضي" في مطلع الألفية الثالثة لميلاد المسيح ﷺ ويعترف فيها بأن الحروب الصليبية كانت واحدة من تلك الأخطاء، علماً بأن موقع الوثيقة على شبكة المعلومات الدولية " الإنترنت " هو:

[http://www.vatican.va/rom.../rc\\_con\\_cfaith\\_doc\\_2000307\\_memory\\_reconc\\_itc\\_en.htm](http://www.vatican.va/rom.../rc_con_cfaith_doc_2000307_memory_reconc_itc_en.htm) ٠٣/٠٧/٠٠

وعن اعتذار البابا، والخلفية التاريخية للوثيقة راجع: مقال عبد العظيم حماد "اعتذر البابا فمتى يعتذر الرومان" المنشور في الأهرام العربي العدد ١٥٧ بتاريخ ٢٥ / ٣ / ٢٠٠٠م ص ٣٠، وانظر: مقال الأستاذ فهمي هويدي المنشور في جريدة الأهرام اليومية في باب "قضايا وآراء" العدد ٤١٣٧٨، بتاريخ يوم الثلاثاء ٢١ / ٣ / ٢٠٠٠م، وانظر: الملحق الثاني ص ٥٥٧.

وظفتها البابوية لصالحها، كان رئيس الظلمة يعمل من خلال قادة الحكم الكهنوتي البابوي، ففي مجالسهم السرية كان الشيطان وملائكته يتحكّمون في عقول الرجال الأشرار، في حين كان ملاك غير منظور من عند الله واقفاً في الوسط، يدوّن قراراتهم الآثمة في سجل رهيب، ويكتب تاريخ الأفعال التي احتجبت عن أنظار البشر من شدة بشاعتها، صرخت الأجسام الممزقة المشوهة لملايين الشهداء إلى الله لينتقم لها من السلطة المرتدة.

✽ كره القادة البابويون النور الذي يكشف خطاياهم مثل الفرنسيين في القديم.

✽ قال مارتن لوثر: أنا أعلم أن البابا هو ضد المسيح، وأن منصبه هو منصب الشيطان نفسه، البابوية هي مطاردة عامة الغرض منها تصيّد النفوس، وتدميرها بأمر كبير الأبحار الروماني.

لقد احترت أيّ العبارات أذكر، وأياها أدع؛ فالنشرة كلها مجموعة من المعلومات الموثقة عن جرائم البابوية المادية والخلقية والإلحادية وإذا كانت هذه هي قيادة العقيدة المسيحية، فلنا أن نسأل ربهم يسوع المسيح: أم من أجل هذه النفوس المريضة المجرمة صُلبت؟

أم من أجل هذه المخلوقات الدنيئة كان فداؤك؟

أم من أجل هؤلاء البشر الأشرار كان الخلاص؟

ليتك تأتي اليوم يا يسوع فتستردّ خلاصك هذا - إن صحّ حدوثة بزعمهم - فما كان إلا نكبة على الإنسانية، وشرّاً عمّ بلاؤه البشرية؛ فكفانا ما جرى بسببه، وما ارتكب باسمه.

تعال، وانظر بنفسك ماذا فعل أتباعك برسالتك؟

أيرضيك تناول البابا بنديكت السادس عشر - الذي يدعى أنه يمثلك - على رسول الإسلام، ونبي السلام محمد بن عبد الله ﷺ؟

ونختم حديثنا عن رسالة المسيح ﷺ ببيان علاقته بمصر:

## مولد المسيح ﷺ والرحلة المقدسة :

تحدّثنا البشائر أنّ المسيح عيسى بن مريم ﷺ حُمِلَ إلى مصر، خوفاً عليه من القتل " ١٣ وَبَعْدَمَا انْصَرَفَ الْمُجُوسُ، إِذَا مَلَاكُ مِنَ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ، وَقَالَ لَهُ: «قُمْ وَاهْرُبْ بِالصَّبِيِّ وَأُمِّهِ إِلَى مِصْرَ، وَابْقَ فِيهَا إِلَى أَنْ أَمُرَكَ بِالرُّجُوعِ، فَإِنَّ هِيرُودُسَ سَيَبْحَثُ عَنِ الصَّبِيِّ لِيَقْتُلَهُ». ١٤ فَاقَامَ يُوسُفُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَهَرَبَ بِالصَّبِيِّ وَأُمِّهِ مُنْطَلِقاً إِلَى مِصْرَ، ١٥ وَبَقِيَ فِيهَا إِلَى أَنْ مَاتَ هِيرُودُسُ، لِيَتِمَّ مَا قَالَهُ الرَّبُّ بِلِسَانِ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي». " (١).

ويذكر روبر جاك تيبو أنّ المسيح وعائلته المقدسة أقاموا بأرض مصر، عندما شعروا أنّ خطر الموت يهدّدهم من جرّاء جبروت هيرود وجنونه الدموي، " وقد حمل هذا الهروب إلى مصر ثراءً رمزيّاً واضحاً؛ فقبل المسيح تلقى كل من يوسف وموسى تعليمهما وثقافتهما ببلد الفراعنة (٢).

ويحدّثنا التاريخ عن دور مصر في نشر المسيحية، وحمّيتها، وتنظيمها، وابتكار نظام الديّارات فيها، وهو دور مشهور معروف.

## رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ

سيدنا محمد ﷺ: تقف سيرة الرسول محمد بن عبد الله ﷺ أنموذجاً فريداً في سيرة عظماء الرجال في التاريخ كله؛ فلا نعرف رجلاً سُجِّلَت حياته تسجيلاً كاملاً كما سُجِّلَت سيرة الرسول الكريم ﷺ فجاءتنا مصوّرة تصويراً مفصّلاً:

- ✻ في مولده، وتربيته، وفي شبابه، وكهولته إلى وفاته.
- ✻ في علاقاته الخاصة بأزواجه، وأبنائه، وأصحابه، وأعدائه.
- ✻ في علاقاته العامة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية.
- ✻ في تنظيمه المجتمع في السلم، وفي الحرب.
- ✻ في وضعه سياسة الدولة الداخلية والخارجية، والعلاقات بين الدول.

(١) متى ٢: ١٣-١٥.

(٢) موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية ٤١.

لعلَّ أصدق الأدلة على أنَّ الإسلام دين البشرية الأوحى والخالد دليلان:

الدليل الأول: أنموذج السلوك البشرى القدوة، ويتمثل في سيرة الرسول ﷺ والتي تروى جميع التفاصيل عن حياته؛ ليتأسى بها البشر، وأتى لا تغفل شيئاً من حياة الإنسان حتى أدق العلاقات الخاصة كالتى تكون بين الرجل وزوجه.

والدليل الآخر: الدستور الباقي الخالد المتمثل في القرآن الكريم؛ فلا زيف فيه، ولا ترجمة من لغة ماتت، ولا تحريف، وستظل لغته حيّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونسب الرسول ﷺ موصول بمصر من أربع جهات:

الأولى: جدّته العليا الأولى السيّدة "هاجر" أم سيّدنا إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليها السلام -.

والثانية: جدّته العليا الثانية زوج سيّدنا إسماعيل عليه السلام.

والثالثة: أمّه آمنة بنت وهب من بنى مناف وترجع جذورها إلى الهجرة المصرية الأولى.

والرابعة: زوجه مارية القبطية أم ولده إبراهيم.

ولنا على هذا النسب الشريف ملاحظتان:

الأولى: أن صلة الرسول ﷺ بمصر متعددة: جدّتان، وأم، وزوج.

والأخرى: لم ينبج الرسول ﷺ من جميع أزواجه إلا من اثنتين:

الأولى: عربية قرشية هي السيّدة خديجة الكبرى رضى الله عنها، وهى ذات حسب، ونسب، ومال.

والأخرى: مصرية هي السيّدة مارية القبطية، وهى جارية، فقيرة، لا حول لها ولا طول، وكأنَّ الله ﷻ أراد للرسول الكريم ﷺ أن يجمع في بيته جميع طوائف المجتمع الإسلامى:

الحر والعبد، الغنى والفقر، العربى والأعجمى.

## آخر الرسالات السماوية

إن أتباع كل رسالة سماوية يظنون أن نبيهم آخر الأنبياء، ولن يكون من بعده نبي؛ قد يكون السبب إعجاباً به أو إكباراً له، فبعد سيدنا يوسف عليه السلام ظن المؤمنون أنه آخر الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن نَّبْعَتَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه دعوى باطلة؛ فالأنبياء في بنى إسرائيل - بعد يوسف - كثيرون جداً، فقد يكونون بالآلاف في وقت واحد، ومن المعتاد وصفهم بالأنبياء الكذابين لكثرتهم، ومن المعتاد تكذيب بعضها بعضاً، فبعد وفاة سيدنا سليمان عليه السلام انقسمت دولته إمارتين، وفي عهد يوشافاط ملك يهوذا لقي ملك إسرائيل يستشيريه في حرب آرام، فجمع ملك إسرائيل الأنبياء للتشاور معهم، وكانوا نحو أربعائة رجل، وتخلّف ميخا بن يملة<sup>(٢)</sup>. أكثر من أربعائة وواحد من الأنبياء في إمارة واحدة، ولعل عددهم في الإمارة الأخرى قريب من هذا العدد، فكم يكون عدد الأنبياء في الإماراتين؟ وأيهم يصلح أن يكون آخر الأنبياء؟

قال العقّاد: "خير ما ورد في وصف مكان الأنبياء بين بنى إسرائيل قول النبي ﷺ: (عَلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ)؛ فقد كان عمل النبي في شعب إسرائيل كعمل العالم الفقيه في الأمة الإسلامية، ولم يكن من المستغرب أن يسمع بها الخاصّة أو العامّة في وقت من الأوقات، ولم يكن قيامهم إنكاراً لقيام الأنبياء من قبلهم، بل هو تفسير للكتب والنذر، وحضّ على أتباع السنن التي رسمها لهم من قبل إبراهيم وموسى ويعقوب وغيرهم من الأنبياء السابقين"<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة غافر ٤٠: ٣٤.

(٢) الملوك الأول ٢٢: ٥-٩.

(٣) حياة المسيح ٣٧.

وربّما كان اليهود وحدهم - من بين أصحاب الرسالات - هم الذين ينتظرون نبياً يخلّصهم من أعدائهم، ويبنى لهم ملكهم، ولما جاءهم المسيح أنكروا رسالته، وسعوا في هلاكه؛ لأسباب تعلق بمصالحهم الدنيوية.

وأما المسيحيون فلا يعترفون بنبي بعد ربهم عيسى، مع أنّهم يروون كلاماً منسوباً إليه أنّه ما جاء إلا ليكمل شريعة الأنبياء<sup>(١)</sup>، ويفسّرون النصوص على هواهم؛ فقد جاء في تفسيرهم هذا النص "لأكمل: أو أتم، من معانى الفعل اليونانى "حقق أو ملا"، لا شك أن المعنى المقصود هنا هو المعنى الثانى، فلا يكتفى يسوع بتحقيق النبوءة، بل يريد أن يبلغ بها إلى كمالها، فيعيد إلى الشريعة معناها الحقيقى، فيجعلها تدرك كمالها الجذرى، وتستعيد بساطته الأصلية"<sup>(٢)</sup>، فانظر كيف يبدّلون كلمة التكميل بالتمام، وكأنه لا فرق بين اللفظين، وكأنّ الفعل اليونانى هو كلام الله المنزل.

واقراً تعليقهم على جملة "حتى يتم كل شيء" قالوا: عبارة يصعب فهمها، يرجح أنه لا يريد أن يقول: إلى أن أكون قد أتممت كل شيء على الصليب ولا إلى أن يكون تلاميذى قد أمّوا جميع وصاياى، بل إلى نهاية العالم تبقى للشريعة كل سلطتها، بعد أن يكون يسوع قد جدد قيمتها"<sup>(٣)</sup>.

إنّ المسيحيين يفسرون النصوص على هواهم؛ ليدّعوا أنّ عقيدتهم آخر الرسالات السابوية، وهو ادّعاء كاذب، فنحن لا نوافق على أن يكون المسيح عليه السلام آخر الأنبياء وذلك للأسباب الآتية:

١ - لم تستكمل الشريعة المسيحية كل جوانب الحياة الاجتماعية في المجتمع؛ فليس فيها مثلاً نظام للمواريث، وتُرك أمر المال للهوى والشطط؛ فأوقع ظلماً بين الأبناء، وفي بعض المجتمعات المسيحية يطبق نظام "حق البكورة" فيعطى الابن

(١) انظر ٤٩١.

(٢) الكتاب المقدس نشر دار المشرق ح ١٥ ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق ح ١٧ ص ٤٨.

البكر كل الثروة، ويُحْرَم من يأتي بعده، وقد يُحْرَم المتوفى جميع أولاده، ويتبرع بكل ماله إلى جهة ما أو حيوان يحب، وقد رأينا في بعض المجتمعات الغربية من يوصي بترك ثروته كلها لكلبه، ويراه أكرم من أبنائه، وأوفى !!!، وقصة الكلب الملياردير في أمريكا مشهورة، ومنشورة في كل صحف العالم، في الوقت الذي نجد فيه تنظيمًا دقيقًا شاملًا في الإسلام - وبنص القرآن الكريم - للفرائض المقررة لكل فرد، وأحكام الوصية ومقدارها...

٢- يبدو أن دور المسيح كان قاصرا على التوفيق والتعديل لكل المذاهب اليهودية المتناحرة، " وكانت هذه التعديلات في جملتها تثوب إلى وحدة متماسكة من القواعد والمثل العليا، لا بد لها من " شخصية " مستقلة عن هذه المذاهب جميعا، قادرة على عرض شعائرها وعقائدها على محك واحد متناسق الفكر والإيمان " (١)، وسبق أن بينا أن رسالة المسيح لم تأت بتشريع جديد؛ وإنما هي تصحيح لانحراف اليهود عن الشريعة الموسوية.

٣- تعرّضت نصوص البشائر إلى التبديل والتحريف والغموض، ومن الأسباب الكثيرة التي أدت إلى ذلك الجهل باللغة التي نزلت بها البشائر؛ فلا نعرف على وجه التأكيد اللغة التي كان يتكلمها المسيح، فبينما يؤكد أتباع الكنيسة الشرقية في سورية أنه كان يتحدث السريانية، وأنها اللغة المقدسة في شعائرتهم، نجد أن جميع الأناجيل التي وصلتنا مكتوبة باللغة اليونانية، وليس فيها إنجيل واحد بخط مؤلفه، في الوقت الذي كانت فيه لغة التخاطب اليومية بين الناس هي اللغة الرسمية للدولة الرومانية وهي اللغة " اللاتينية"، فكيف ذلك؟ وللقدس متى إنجيل بالآرامية.

ومن المعروف أن المسيحيين في القرون الأربعة الأولى بعد ميلاد المسيح لم يعترفوا بالبشائر ككتب مقدسة، لذلك تأخر تدوينها إلى أواخر القرن الأول [ متى ٦٥، ولوقا ٧٦، ومرقس ٦٤، يوحنا ١٠٠ ] واثنان من هؤلاء الأربعة " لوقا، ومرقس " لم يريا المسيح على الإطلاق، وإنما يظن أنهما كانا من تلاميذ بطرس

(١) حياة المسيح ٤٢.

الأكبر، ونتج عن ترجمة البشائر إلى اللاتينية والسريرية والقبطية والعبرية أن كَثُرَ فيها الخطأ والخلط والتحريف، بحيث لا يمكن اتخاذها دستوراً دينياً موثقاً لأمة خالدة على مدى الدهر، بعد أن ماتت لغته، واختلفت معانيه.

وليس يصحُّ في حكم العقل أن يكون كتاب الرسالة الأخيرة الباقية إلى قيام الساعة كتاباً ميّت اللغة، مجهول المؤلف، محرّف النصوص ناقص الأحكام؛ في الوقت الذي نجد القرآن الكريم معجزاً بأسلوبه، باقياً بلغته، محافظاً على نصّه، كاملاً بأحكامه.

٤ - إذا كان دستور العقيدة الباقية يجب أن يُحفظَ ويصانَ، وأن يكون كاملاً شاملاً صالحاً لكل زمان ومكان؛ فمن الواجب أيضاً أن يكون الرسول المبلّغ للرسالة قدوةً سالحةً للأفراد في جميع شئون الحياة، والمسيح لم يكوّن أسرة ولم بين دولة، بل إن أكثر سنوات عمره مجهولة؛ فكيف نقتدى به في معاملة الزوج؟ وكيف نقتدى به في تربية الابن؟ وكيف نقتدى به في إعداد جيش أو في رسم خطة؟ وكيف نقتدى به في المعاملات الماليّة والتجاريّة والدوليّة... وليس له نصيب

مما تقدّم يتأكد أن الإسلام هو آخر الرسالات السماويّة لأنّه استوفى جميع شروط الخلود والبقاء، وصدق رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيْتَانَا فَأَحْسَنَهُ، وَأَكْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسَ يُطِيفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُيْتَانَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِلَّا مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبِنَةِ)<sup>(١)</sup>.

(١) مسند أحمد ٢/٢٥٦، ورواية جابر ؓ قال: قال النبي ﷺ: مِثْلِي فِي النَّبِيِّينَ كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَحْسَنَهَا، وَأَجْمَلَهَا، وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَكَانَ مَنْ دَخَلَهَا، وَنَظَرَ إِلَيْهَا، قَالَ: مَا أَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبِنَةِ، فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، حَتَمَ بِي الْأَنْبِيَاءُ". إسناده صحيح. انظر: كتاب الأمثال في الحديث النبوي ٢٩٨.